رسالة

الكلام

للعالم الرّبانی المدرّس الكردستانی

الملاّ محمّد باقر

المدرّس فی قریة بالک مریوان

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله و صلّى الله على سيّدنا محمد وآله و صحبه و سلّم اعلم وفقک الله إنّک إذا قلت:زيد حيّ عالم مريد قادر سميع بصير متكلم او قيل: زيد(زنده و دانا و خواهش كار و توانا و شنوا و بينا و گوياست) فهم منه كل أحد بحسب اللغة العربية و الفارسية والكردية وغيرها و بحسب العرف أمورا

الأوّل: إنّ ما صدق زيد و كلاّ من تلک المشتقّات أمر واحد هو ذلک الذّات الموضوع له لفظ زيد.

الثاني: ان لزيد صفات زائدة عليه موجودة فى الخارج غير محمولة عليه هى الحيوة الغير الموجودة فى الميّت والجماد والعلم بالمعنى الاسميّ الغير الموجود فى الجاهل و الارادة و القدرة و السمع و البصر و الكلام الغير الموجودة فى الكاره للشىء والمكره و العاجز و الأخرس و الأعمى و الأبكم.

الثالث: ان اتّصاف زيد بتلک المشتقات انما هو بواسطة تلک الصفات الزائدة لا ذاتا.

الرّابع: انّ ذات زيد منتزع عنه تلک الصفات الغير المحمولة و نفس تلک منشأ لانتزاعها عنه و ان لزيد و لكلّ من

تلک الصفات ما صدقًا و تحققاً غير ما صدق و تحقّق ما سواه الاّ انّ تلک الصفات لكونها أعراضًا لا تتحقّق بدون تحقّق زيد فتحقّقها مشروط بتحقّقه لا إنّ تحقّقها عين تحقّقه.

الخامس: إنّ تلک المشتقات عين زيد ای تحمل عليه مواطاةً.

السادس: انّ تلک الصفات الزائدة ليست عين زيد ای لا تحمل عليه مواطاةً اذ لا يصحّ ان يقال زيد حيوة علم قدرة إرادة الی غير ذلک لكنها بحسب العرف لا يجوز إنفكاكها عنه و لا انفكاكه عنها و لا انفكاک بعضها عن بعض و ان جاز انفكاک کلّ عن الآخر بحسب العقل كما اذا طرء عليه الموت او آفات الصفات. و ان الحيوة صفة غير متعديّة ای لا تكون واسطة بين زيد و شیء آخر، و غيرها متعديّة و العلم واسطة فی المعلومات والسمع فی المسموعات و البصر فی المبصّرات و الكلام فی الالفاظ مثلاً و الارادة فی المرادات و القدرة فی المقدورات.

السابع: ان زيدا متّصف بتلک الصفات الزائدة و هی ثابتة له و اثبته غير الثابت و المثبت له فتحقق لها معان آخر غير تلک المعانی الموجودة المبادی هی الحيوة بمعنی الكون حيّاً و العلم

بمعنی الکون عالما و علیه فقس و هی بهذا المعانی أمور اعتباریة غیر موجودة خارجاً مسماة بالمصادر المبنیة للفاعل و بالمصادر بالمعنی الحدثی و ان لغیر الحیوة منها تعلق بشیء آخر بسببه یحصل المصادر المبنیة للمفعول لذلک الشیء کالعلم بمعنی المعلومیة فلتلک الصفات معان اسمیة موجودة خارجا زائد ککل علی الاخری یسمی أخذها عن زید تحلیله لتحقق کل فی الخارج مع تغایر المنتزع عنه و منشأ الانتزاع یعبّر عنها بالفارسیة بقولهم:(زندگی و دانائی و خواستنی و توانائی و شنوائی و بینائی و گویائی) و معان حدثیة غیر موجودة خارجاً بل أمور اعتباریة لکن لا کجبل زیبق بل کعمی زید فی انّ الموصوف و الاتصاف لا یحتاجان الی آخر بل ذات الصفة منتفیة خارجاً یعبر عنها بالفارسیة بقولهم:(زنده بودن و دانا بودن و میل کردن و توانا بودن و شنوا بودن و گویا بودن و بینا بودن) فزید حیّ و کذا (زید زنده است)یفهم منه ان لزید الحیوة بمعنی (زندگی) و الحیوة بمعنی (زنده بودن)و انه متصف بها اتصافا حقیقیاً فی الاولی کزید أسود و اعتباریاً فی الثانیة کزید أعمی فعلم ان لزید صفات موجودة فی الخارج زائدة علیه غیر محمولة.

الاولى الحيوة بمعنى صفة تنافى الموت و العدم يصح بها العلم و القدرة و لا تتعدى الى غيره. و الثانية العلم بمعنى صفة نورانية تنكشف بسببها المعلومات عنده و نفس الانكشاف علم حدثي و كذا اتصاف بالمعلومات و متعلقه يسمى معلوما.

الثالثة الارادة بمعنى صفة يرجح زيد بها وقوع الفعل او لاوقوعه على الآخر و نفس الترجيح و تعلق تلک الصفة بالمرادات و اتصاف زيد بها بتلک الصّفة کل منها يسمى ارادة حدثية ايضاً و متعلقها يسمى مراداً.

الرابعة القدرة و هى صفة يكتسب بها الشيء اى يوجد بسببها الشيء عادةً و نفس الاكتساب و اتصاف زيد بتلک الصفة و تعلقها بالمقدور يسمى قدرة بالمعنى الحدثيّ و متعلقها المقدور.

الخامسة البصر و هو قوّة نورانية في العصبتين المجوفتين يدرک بها المبصرات و تعلقها بها و اتصاف زيد بها و نفس ادراک البصر يسمى بصراً بالمعنى الحدثى و متعلقها المبصر.

السادسة السمع و هو قوة نورانية في الصماخين يدرک بها الاصوات و هي و متعلقها و تعلقها بها و نفس ادراک الاصوات و اتصاف زيد بها يسمى سمعاً بالمعنى الحدثى.

السابعة الكلام و هو امّا نفسى او لفظى فالنفسى قوة فى زيد بها ينتسب امرا كالقيام الى آخر كزيد و يسمى كلاماً نفسيا بمعنى (گويائى) و متعلقه النسبة التامّة الخبرية لا الظلية و يسمى هى ايضا كلاما نفسيا بمعنى المتكلم به و (گفته‌شده) و تعلق التكلم بمعنى (گويائى) لتلك النسبة و اتصاف زيد به و نفس ناسبية يسمى كلاما نفسيا بمعنى (گويابودن) و مغايرة كلام النفسى للحيوة و السمع و البصر بديهية و للقدرة و الارادة و ثابتة لانهما تتعلقان بالموجود و متعلق الكلام النفسى غير موجودة خارجا لبداهة عدم النسبة الظلية فى الخارج و كذا مغايرته للعلم و النسبة التامة الخبرية الاصلية او الظلية و لأصل الناسبية فانك تتصور بسبب صفتك العلم زيدا ثم القيام ثم ثبوت القيام لزيد خارجاً فتنسب بصفتك الكلام القيام الى زيد فيحصل ناسبيتك و ثبوته له فى ذهنك ثم تحكم به تصدق به فالكلام بالمعنى الاسمى ما به الانتساب فى الذهن لا اصل الانتساب و لا النسبة و لا العلم بها او باحد طرفيها و الكلام اللفظى صفة زائدة فى زيد يقتدر بها على ايجاد الحروف و الأصوات و ترتيبها فى المخارج و يسمى كلاماً لفظيا بمعنى (گويائى) و هو منشعبة من القدرة و متعلقه الحروف و

الأصوات المترتبة و يسمّى كلاما لفظيا بمعنى (گفته‌شده) و المتكلم به و اتصاف زيد بتلك الصفة و تعلقها بالأصوات و ايجاد الأصوات يسمى كلاما لفظيا بمعنى(گويابودن) مثلا فى زيد قوة يقتدر بها ان يتلفظ بنحو جاء عمرو هى الكلام اللفظى بمعنى (گويائى) و نفس جاء عمرو كلام لفظى بمعنى(گفته‌شده) و تعلق (گويائى) بگفته‌شده و كسبه و اتصاف زيد بگويائى كلام بمعنى (گويا بودن).

ثم الكلام اللفظى بمعنى (گفته‌شده) معلول عادة لتموّج الهواء المعلول للقرع و القلع و صفة للهواء الذى فى المخارج قائم به و أثر لزيد و لصفة الكلام و ليس صفة له حقيقة بل بحسب متفاهم العرف العام.

فللكلام ثلاثة معان گويائى و گفته‌شده و گويابودن و الأول صفة حقيقية و الثالث صفة اعتبارية ناشئة من الأول و الثانى أثر للمتكلم لا صفة له.

واعلم انک اذا قرعت شيئا على شيئ حصل صوت هو قائم بالهواء لكن اذا كان المقروع فى مخارجک قيل لک الصائت أعنى(آواز زن) لا المصوِّت أعنى (آواز دهنده) او فى غيرها كما

اذا ضربت حجرا حصل لک المصوّت لا الصائت مع أنّ الصوت فی کلتا الصورتین من آثارک فلا یقال لک المتکلم الا اذا أوجدت الحروف فی مخارجک لا فی غیرک.

و جمیع ما ذکرنا من الصدر الی هنا وفاقی لا ینکره أحد و یقبله العامة فضلا عن الخاصة اذا علمت ذلک فنقول ورد فی القرآن العظیم و غیره من الکتب السماویة و تواتر من الأنبیاء (علیهم السلام) و اجمع علیه الملل و الأدیان إنّ الله حیّ علیم مرید قدیر سمیع بصیر متکلم و معلوم ان خطاب الله و الانبیاء (علیهم السلام) انما هو الکلام یفهم معناه العامة و الخاصة بحسب متفاهم عرفهم و اصل لغتهم والا لکان خطابا بما لا یفهم منه معنی تعالی الله عن ذلک و لا یعدل عن هذه القاعدة فی الأمور التکلفیة اصلاً کالمحکمات و ان کان یعدل عنها فی غیر الأمور التکلفیة کالمتشابهات الدّال علی خلاف ظاهرها البرهان. فهذه الصفات لکونها من أمهات القواعد العامة لا یجوز ان یعدل عن ظاهرها اصلا فاذا أیقنت ذلک أذعنت بأنّه کما یفهم من قولنا: المارّ زید حیّ عالم الخ الأمور المذکورة فکذلک یفهم من قولنا: الله حیّ علیم الخ عین تلک الأمور فما صدق لفظ الجلالة و تلک

المشتقات هو الذات العظيم القدر جلّت عظمته و لـه صـفات زائـدة عليه موجودة فى الخارج غير محمولة عليه مواطـاة هـى الحيـوة و العلم و الارادة و القدرة و السمع و البصر و الكلام نفسياً او لفظيـا و اتصافه تعالى بتلک المشتقات بواسطة تلک الـصفات الزائـدة و ذات الله تعالى منتزع عنه لتلک الصفات و هى منشأ انتزاعها و لـه تعالى ككل من تلک ما صدقا و تحققاً غير ما صدق الآخر و تحققه الا أنها لا تتحقـق بدونـه تعـالى فتحققهـا مـشروط بتحققـه الا ان تحققها عين تحققه و تلک المشتقات عينه تعالى و تلـک الـصفات الزائدة ليست عينـه اذ لا يـصح ان يقـال الله علـم الـخ و لا يجـوز انفكاكها عنه تعالى و لا انفكاكه عنها و انفكاک بعضها عـن بعـض لا عرفا كما فى الممكن و لا عقلاً لقيام البراهين.

و حياته لا تكون واسطة بينه وبين شىء آخر لكونها غيـر متعدية و آلت الآخر تكون واسطة بـين الله تعـالى و بـين متعلقهـا اعنـى المعلومـات و المـرادات و المقـدورات و المبـصرات و المسموعات و الكلام بمعنى المتكلم به لفظيا او نفسيا و لكـلّ مـن تلک الصفات معان حدثية و لغير الحيوة معان حدثية مبنيّة للمفعول و تلک المعانى الحدثية أمور اعتبارية كعمى زيد لا كجبـل زيبـق

(جيوه) يعبر عن الصفات المعاني الاسمية بمثل (شنوائى) و عن الحدثية بمثل (شنوا بودن) و (شنيدهشدن) فزيادة تلك الصفات السبع و عدم عينيتها فهمت من خطاب الله تعالى الموافق للعرف و اللغة لا مقيسة على صفات البشر حتى يتّجه ان القياس لكونه ظنيا لا يفيد فى العقائد القطعية و لا انه قياس للغائب و هو ممنوع و لا ان ادلة السمعية لا تفيد اليقين لان محل هذا اذا لم يكن قرينة مشاهدة و لا تواتر القرائن و هنا وجدت القرينة بحيث يفهم منها الامور المارّة كلها و ما ذكرناه مذهب اهل السنّة و الجماعة من أهل زمان السعادة و السلف الصالحين و الأشاعرة و الماتريدية و جمهور المتكلمين.

فقولنا: الله حيّ مثل قولنا زيد أسود فى ان اتصاف الموضوع بالمحمول لاتصافه بحصة خارجية من مأخذ الاشتقاق لا مثل السواد اسود فى الاتصاف لكون الموضوع عين تلك الحصة الخارجية لكن الاشاعرة و الماتريدية قالوا انا استقرئنا اللغة و الشرع و العرف فوجدنا انهم وضعوا لفظ الغير لما يجوز انفكاكه بحسب العرف فتلك الصفات سواء فى البشر او فيه تعالى كما انها ليست عينا ليست غيراً و جمهور المتكلمين قالوا ان الشرع و

العرف و اللغة وضعت لفظ الغير لما لا يصح حمله على الشيء فتلك الصفات غير، فهذا النزاع لفظى راجع الى تعيين المعنى الموضوع له لفظ الغير بحسب اللغة و الشرع و العرف لا معنوى لاتفاق الكل على امتناع انفكاك الذات عن الصفات كالعكس و انفكاك كل عن الأخرى فلم تكن غيراً بالمعنى الاول و على عدم جواز حمل شيء منها على الآخر فغير بالمعنى الثانى و الحق هو الاول لأنّك اذاحلفت بالطلاق ان ليس فى الدار غير زيد لم تحنث مع ان فيها صفاته و أجزائه و قد ورد فى صحيح البخارى فى ضمن حديث مطنب كان الله و لم يكن شيء غيره فلو كان الغير بالمعنى الثانى فحنث فى الاول و لم يصدق الحديث.

ثم تعريف الغير بما يجوز انفكاكه تعريف لفظى لا يرد عليه شيء من التدقيقات الفلسفية التى اطال بها المصنفون و الشرّاح و المحشّيون فاطلقوا ما يعنى و اوردوا ما لا يعنى و افسدوا أذهان المحصلين فلذا يرد عليه تلك الارادات كما لا يرد ايراد على مثل سعدانة نبت و هذا المقدار الذى ذكرنا هو قول سيدنا رئيس اهل السنّة بل سيّد متأخر المسلمين الامام أبى الحسن الأشعرى و غيره من الحاقات المشايخ و هو برى عنها فللـه تعالى صفات سبعة

موجودة خارجاً زائدة عليه ككل على الأخر و لا يصح انفكاك منها عن الاخر و لا عن الذات و الذات عنها و لا يصح الحمل مواطاة فيها فهى لا عين و لا غير.

ثم انها ممكنة صدرت عن ذات الله بالايجاب لا بالاختيار اى كان الله فى الازل فاقتضى ذاته الشريفة بذاته الحيوة له فوجدت و بانضمام الحيوة لكونها مصححة للعلم و القدرة العلم فوجد و بانضمامها الارادة و بانضمامها القدرة و بانضمام الأربعة السمع و الخمسة البصر و الستة الكلام اليس الله مختارا فيها و لكونها صفات كمال له فى ايجابه فيها كمال لا نقص و قولهم: كل ممكن محدث ليس بقول المتكلمين و لو سلم فمعناه كل ممكن مباين له تعالى فهو حادث و قال شيخ حميد الدين و اتباعه انها واجبة الوجود لذاتها و ارادوا وجوب وجودها المحمولى و ان احتاجت لكونها صفات الى الله تعالى فى وجودها الرابطى فكما ان زيدا و صفاته آثار له تعالى من حيث وجوداتها المحمولية و تلك الصفات آثار لزيد من حيث وجوداتها الرابطية كذلك يجوز ان يكون كل من الذات و صفاته غير محتاج الى الغير فى وجوداتها المحمولية و الصفات محتاجة اليه تعالى فى رابطيتها فهذا المذهب

معقول و لا دليل على بطلانه اذ لا استحالة فى تعدد الواجب بالذات اذا كان واحد منها ذاتا والآخر صفات لازمة له بل هذا كمال وانما المحال تعدد الذوات الواجبة المعبودة الخالقة فللّه تعالى صفات سبعة قديمة سواء ممكنةً او واجبةً و اثر كل غير أثر الآخر مثلاً يصدر من الحيوةصحة كونه عالماً قديراً و من العلم انكشاف المعلومات على نهج التعقل للاحساس و من الارادة ترجيح الاشياء بعد كونها معدومة و من القدرة ايجاد الشىء بعد العدم و من البصر انكشاف المبصرات انكشافاً تامّاً على طريق الاحساس و من السمع انكشاف المسموعات كذلك و فى الكلام اللفظى ايجاد الحروف و الأصوات فى الذات لا فى الغير كما اشرنا له بالتصويت و الصوت و فى الكلام النفسى حصول النسب التامة الخبرية العلمية سواء فى البشر او فى الله تعالى والاصلية الخارجية فى الله تعالى فقط كما سيأتى فى صفة الكلام و المعتزلة سلموا منهم تلك الامور من الخطابات لكن قالوا لو حملناها على ظاهرها لزم تعدد القدماء فهو كفر فمن تصرف تلك النصوص عن ظواهرها و تحمل على ان الصفات عين الذات بمعنى ان ذات الله تعالى من حيث صحة العلم حيوة و من حيث انكشاف المعلومات عنده علم و

من حيث ترجيح الاشياء ارادة و من حيث ايجاد المقدورات قدرة فيصح ان يقال الله علم اى مبدء للانكشاف بذاته و حياة و إرادة و قدرة اى مبدء بالذات لصحة العلم و الترجيح و الايجاد فما صدقه و ما صدق تلك الصفات امر واحد و هو الذات العظيم القدر و متحقق معها بتحقق واحد و الاختلاف بحسب المفهوم و يصح ان يقال الله حيّ عليم قدير مريد و يكون بمنزلة قولنا السواد اسود فى ان اتصاف الموضوع بالمحمول لكونه عين حصة الصفة لا باشتماله على حصة (الحصة هى الماهية المقيدة تقيد يعينها كانسان زيد)زائدة و قالوا ايضا ان السمع و البصر و الكلام اللفظى تحتاج الى الآلة الجسمانية مثل الأذن و المقلة و اللسان و الله منزه عن ذلك فليست آثار هذه الثلاثة الانكشاف التام الذى يسمى سماعا و رئية و لا ايجاد الاصوات فيه تعالى كما هو رأى اهل السنة بل آثار السمع و البصر انكشاف تعقلى للمبصر و المسموع فهما راجعان الى العلم و أثر الكلام اللفظى هو وجود الصوت فى غيره تعالى فالكلام اللفظى راجع الى قدرة الايجاد فى الغير و قالوا ان الكلام النفسى غير موجود بل غير معقول فنزاع المعتزلة فى الحيوة و العلم و الارادة و القدرة من وجه واحدهو زيادتها عندنا و

عينيتها عندهم مع التزامهم آثارها مترتبة عن ذاتـه تعـالى مغـايرة تلك الآثار و نزاعهم فى الـسمع و البـصر و الكـلام مـن وجهـين اولهما هذا الوجه و ثانيهما عدم مغايرة آثارها الاربعة و نحن نقـول تعدد القدماء اذا كان واحدها ذاتا و غيرها صفات لازمة ليس بكفـر بل كمال و اشتراط السمع و البصر و الكلام بالآلات الجسمانية فى البشر عادى اذ يجوز الاستماع بدون الاذن و الكلام بـدون الفـم و الابصار بدون العين اذ كل بخلقه تعالى يفعل الله ما يشاء و لو سـلم فالاحتياج الى الآلات انما هو فى الممكن النـاقص لا فـى الواجـب الكامل ولو سلم فلم لا يجوز ان يكون آلاته بحيث لا تنافى جـلال الوهيته العظمى غاية انا لا نعلم ما هى و كيف هى و انمـا نقـدر ان نعبر عنها بوجوه كلية اجمالية فثبت انه يجوز ان يكون لـه سـمع و بصر و كلام لا كأوصافنا و قد ورد السمع بها فيجب ان نؤمن بهـا فليس السمع و البصر راجعين الى العلم بل صفتان أخريان من غيـر محذور بـل المحـذور انمـا هـو نفيهمـا لانـک اذا تـصورت لونـا مخصوصا كلون زيد و صوتا مخصوصا كصوته قبل رئيـة الاول و سماع الثانى حصل عندک صورة اجمالية كلية لها.

ثمّ اذا رأيت الاول و سمعت الثانى حصل عندک على وجه انه لا يحصل هذا الوجه الا بالبصر و السمع لا بالعلم فلو لم يكونا له تعالى لزم نقصه تعالى عن ذلک علواً كبيراً.

و ما قاله المحقق الدواني فى شرح العقائد العضدية و حواشي شرح التجريد و غيرها رددناه في الرسالة الوجودية بما لا مزيد على حسنه و تقريره و ما نقل عن الشيخ الأشعرى من ارجاعهما الى العلم فلو سلم نسبته اليه اراد بالعلم المعنى الاعم اذ العلم له ثلاثة معان كما فصلناه فى حواشى التذهيب يشمل معنيان له السمع و البصر و واحد يقابلهما و ارجاعهم الكلام اللفظى الى القدرة مسلّم لنا كما قلنا انه شعبة من القدرة لكن ليس قدرة ايجاد الصوت فى غيره بل فى ذاته و انكارهم الكلام النفسى انكار للبديهى المجمع عليه فى الحكمة و الكلام كما سيأتى.

و وافق الصوفية المعتزلة في عينية الصفات لكن لا لهذا الدليل بل لانّ ذاته تعالى بسيطة يبصر بجملة و يسمع بجملة و يقدر بجملة الى غير ذالک فهو بصر كلّه حيوة كلّه قدرة كلّه الى غير ذالک و اذا كانت زائدة لم تكن كذلک كما هو المشاهد فينا مثلا أعيننا مبصرة لاغيرها و فمنا ناطق لا غيره و خالفوا المعتزلة

فى اثبات الكلام النفسى و فى مغايرة آثار السبع كلّ للآخر و قالت الحكماء بالعينية ايضا لعين دليل الصوفية لكنّهم جعلوا الله تعالى موجبا غير مختار فى جميع أفعاله فقالوا لا قدرة له بمعنى صحة الفعل و الترک و لا ارادة له بمعنى الترجيح و لا كلام له نفسيا مطلقا و لا لفظيا بمعنى صحة ايجاد الحروف و تركه و لا سمع له و لا بصر له بل هما راجعان الى العلم ايضا فمنهم انكروا زيادة الصفات مطلقا و آثار غير الحيوة و العلم من الخمس الآخر و امّا قولهم: له تعالى قدرة بمعنى ان شاء فعل و ان لم يشأ لم يفعل و يسمونها عناية او نية ايضا فهو عين الايجاب لان شاء بمعنى علم و مشيئة الفعل عند الاستعداد التام و مشيئة عدمه عند عدمه لازمتان فليس له صحة الفعل و الترک و هى معنى القدرة المتنازع فيها فالمذاهب فى الصفات ستة، الاول زيادتها و امكانها مع كونها لا عينا و لا غيرا و هو مذهب الأشاعرة و الماتريدية.

الثانى زيادتها مع كونها ممكنة و غيرا لا عينا و هو مذهب جمهور المتكلمين و النزاع بين هذين لفظى كما سبق.

الثالث انها زائدة و واجبة بالذات لا عين و لا غير و هو مذهب الشيخ حميد الدين الضريرى.

الرابع انها عين و للذات باعتبار مفاهمهما آثار سبعة متغايرة و هو مذهب الصوفية الصفية فنزاعهم مع الاول من وجه.

الخامس انها عين وللذات باعتبارها آثار أربعة صحة العلم و القدرة و انكشاف الاشياء للعلم و السمع و البصر و الترجيح للارادة و صحة الفعل و الترک للقدرة و الكلام و هو مذهب المعتزلة. و بعضهم زاد حالة خامسة هی الموجودية و هذه المذاهب الخمسة بل سائر الملل و الاديان مجموعون على كونه تعالى حيا عليما مريدا قديرا سميعا بصيرا متكلما لكن اختلفوا فيما اشرنا له.

السادس انها عين و آثارها اثنان الانكشاف و الايجاد الايجابی.

فائدة غريبة منبّهة: قد اطال المصنفون و الشراح و المحشيون فی بحث الكلام اللفظی و النفسی لكن من لم يكن له احاطةبجميع كتب الكلام و التصوف و الحكمة لم يفهم شيئا معتدابه و نحن بحوله تعالى بينا ذلک بيانا شافيا فی کتب و حواش رسالات و نكتفی هنا باجمال نافع فنقول بعد ما ثبت ان القرآن و سائر الكتب الالهية نزلت من الله و انه تعالى متكلم بها فصدق انه متكلم بالقرآن و غيره من التورات و الانجيل و الزبور و قد علمت

ان زیدا متکلم یفهم منه کلام لفظی بمعنی (گویائی)و (گویابودن)و(گفته‌شده) کما سبق و ان خطاب الله موافق للعرف و اللغة و الشرع فثبت ان قولنا: الله متکلم بمثل قل هو الله احد انه تعالی اوجد فی ذاته بصفة الکلام بمعنی(گویائی) هذه الالفاظ التی هی کلام بمعنی (گفته‌شده) فیدل علی ثبوت الصفة الزائدة اعنی (گویائی) و اتصافه تعالی بها و تعلقها بالالفاظ و ایجاده تعالی لها و کل من الثلاثة کلام بمعنی(گویابودن) و لا تحتاج الکلام اللفظی الی آلة جسمانیة حتی یصرف هذا القول عن ظاهره و یکون المعنی انه اوجد بذاته فی اللوح المحفوظ او اذن النبی او لسان جبریل الاصوات کما زعمه المعتزلة و تحقیقه کما انک اذا قرعت حجرا یحصل صوت فیقال لک المصوّت لا الصائت او شفتک مثلا حصل صوت هو المیم فیقال لک الصائت لا المصوت مع ان الصوت فی الصورتین أثر لک و صفة للهواء و کذلک اذا اوجد الله صوتا لک مثلا یقال له موجد الصوت لا المتکلم او فی ذاته یقال المتکلم لا الموجد و الا لزم ان یقال له المتکلم فی کل لفظ و صوت لانه أثره تعالی فتحصل من ذلک ان له تعالی صفة زائدة ذاتیة هی شعبة من القدرة یوجد بها الالفاظ من عنده لا فی غیره.

ان قيل الالفاظ حادثة فكيف تكون صفة له تعالى مع انها معلولة لتموّج الهواء المعلول للقرع او القلع كما سبق فحيث لا هواء و لا قرع و لا قلع و الله منزّه عن آلة قارعة اوقالعة او احاطة الهواءبه

قلنا نعم الالفاظ حادثة لكن ليست صفة للمتكلم كما اسفلناه بل أثر له كمنقوش الكاتب و مراد المريد و مقدور القادر و التموّج و القرع و القلع أسباب عادية فى عالم الخلق اى العالم الجسمانى كما فى حالة الرؤيا فان الشخص اذا نام تعلق نفسه الناطقة بعالم الأمر و ارتقى من حضيض عالم الى ذروة عالم الأمر فيرى ما لا يمكن ان يرى فى عالم الخلق و يسمع ما لا يسمع فى عالم الخلق و يفعل ما لا يفعل هنا و ترى انت هذا الشخص لا يتحرّك و لا يتكلّم مع انه بعد يقظته يحكى لک انه قال أشياء و فعل أشياءً و تحرّک الى محالّ كثيرة و ما ذلک الا انّ روحه تجد فى عالم الأمر الذى لا هواء هناک و فعل ما فعل و سمع ما سمع و أبصر ما أبصر و قال ما قال و لا يمكن احد انكار ذلک فعلم من ذلک ان الهواء و تموّجه و القرع و القلع و سائر الآلات الجسمانية مثل الأذن و الفم و العين شروط عادية فى عالم الخلق فبذلک تعلم صحة

كلامه تعالى و سماعه و ابصاره الأشياء بـلا آلات جـسمانية و قـد حققنا ذلک بابسط و اولى فى محلّه.

و بالجملة صدور أصل الألفاظ منه تعالى و تلقف جبريل و النبى عليهم السلام ايّاها مـن ذاتـه البحـت تعـالى تلقفـا روحانيـا مصرح به فى كتب اهل السنّة و بسط الشيخ ابن الحجر فى العقائـد من فتاواه الخاتمة حق البسط فبهـذا القـدر تثبـت الكـلام اللفظـى بمعانيه الثلاثة فنقول لا يمكن احـد ان ينكـر (الله واحـد واجـب و شريک البارى ممتنع) و ان فـى تلـک القـضايا الموضـوع كذاتـه تعالى و المحمول كوحدة و النسبة كثبوتها له و ان ذلـک الثبـوت غير ثابت و المثبت له و ان هذا الثبـوت موجـود خارجـا و لـو لـم يفرضه فارض و لم يعتبره معتبـر فهـذا الثبـوت أمـر موجـود فـي الخارج و نفس الأمر الا انه ليس بمحسوس و معلـوم انـه ازلـى و قديم اذ لو كان حادثـا لكـان ذاتـه تعـالى قبـل حـدوث الوحـدة و الوجوب له متعددا و ممكنا، و شريک البارى قبل حدوث الامتنـاع له واجبا او ممكنا و الكل باطل و معلوم ان النسبة ممكنـة لبداهـة احتياجهـا الـى الطـرفين فثبـت ان تلـک النـسبة التامـة الخبريـة موجودات ممكنة ازلية و هذه المسمى بـالكلام النفـسى الخـارجى

بمعنی (گفته‌شده) و معلوم ان کل ممکن یحتاج الی علة و ان العلة هی ذاته تعالی فثبت ان تلک النسب مما اوجده الله تعالی فی الازل و الحیوة و العلم و السمع و البصر لا تکون سببا مستقلا فی ایجاد الأشیاء المباینة له تعالی و القدرة و الارادة تستلزمان حدوث المراد و المقدور فلاتصلح سببا لایجاد تلک النسب فثبت الکلام النفسی الخارجی بمعنی(گویائی) اعنی الصفة الذاتیة و(گفته‌شده) اعنی النسب التامة الخبریة التی آثار له تعالی لا صفات له و(گویابودن) اعنی اتصافه بها و تعلقها بالنسب و ایجادها و معلوم انه تعالی مصدق بهذه القضایا و التصدیق بها فرع نسبة المحمول الی الموضوع عند الله تعالی فثبت الکلام النفسی بمعانیه الثلاثة کما فی البشر.

و تحقیق ذلک ان لکل شیء وجودا خارجیا و ذهنیا و لفظیا و نقشیا فثبوت الوحدة فی الخارج نفسی خارجی و فی الذهن نفسی ذهنی و علمی و تعقلی و فی اللفظ لفظی و فی الکتابة نقشی لکن الخارجی لکونه ازلیا کما مرّ من آثاره تعالی فقط و التعقلی یکون اثرا له تعالی و للبشر نظیره ان الواضع الاصلی اشتق الضارب مثلا من الضرب و علمه و نحن نعلمه فقط و یسمی الاول

اشتقاقا حمليا و فعليا والثانى علميا و تعقليا فكذلك ثبوت الوحدة و جد منه تعالى و علمه نحن لا نوجده بل نعلمه فمن قال ان الكلام النفسى ليس للبشر اراد به النفسى الخارجى و من قال فوجد له اراد به النفسى التعقلى فوجود النسبة التامة الخبرية مما يقتضيه البرهان اليقينى و كذا صدورها الايجابى منه تعالى و لا نعنى بالكلام النفسى الواقعى الا تلك النسب التامة كما حققه المحققان الخيالى و عبد الحكيم و لا بصفة الكلام الا ما يكون واسطة فى صدور تلك النسب عنه و اما تسمية ذلك كلاما فبحث لفظى و الحق تسميته كما يشاهد به اللغة استقراء محاورات العرف و جميع النسب التامة الخبرية ازلية و لو كان طرفاها او أحدهما لا يزاليا و حادثا لكن اذا كان الموضوع محققا فى الأزل و هو ذاته تعالى و صفاته الذاتية فان كان المحمول مما يثبت خارجا ازلا مثل الله حيّ و حياته لازمة لعلمه(يعنى حيوة براى وجود علم لازم است زيرا چنانكه معلوم اسك حيوة مصحح علم است) فالقضية خارجية بلا فرض فى النسبة او احد طرفيها، او مما يتحقق وجوده فيما لا يزال فخارجية ازلية لكن مع تأويل المحمول بما فيه فرض مثل :الله خالق العالم فانه فى معنى الله متصف فى الأزل بانه لو تعلق ارادته و قدرته

بوجود العالم لكان خالقا له مثل الله موجب للصلاة بمعنى انه تعالى في الأزل متصف بانه اذا اوجد العالم و طلب منهم الصلاة كان موجبا لها و ان لم يثبت المحمول في الخارج فالقضية ذهنية حقيقية تحقيقية ازلية بالنظر الى علمه تعالى لعدم الفرض في الموضوع لا ذهنا اى علما و لا خارجا و ان لم يكن الموضوع محققا في الأزل سواء لم يوجد له فرد اصلا لا يزال ايضا مثل: كل عنقاء طائر و اجتماع النقيضين محال او تحقق لكنها او بعضها فيما لا يزال مثل: كل انسان حيوان فان كان المحمول خارجيا و اريد ثبوته في الخارج فالقضية حقيقية ازلية مثل: كل عنقاء طائر كل انسان ضاحک و زيد اسود و قال فرعون بمعنى ما لو وجد و كان عنقاء او انسان او زيد او فرعونا فهو على تقدير وجوده طائر او ضاحک او أسود او قائل و ان كان ذهنيا اريد ثبوته في الذهن فان كان الموضوع في الأزل مما كان محققا ذهنا علميا مقدرا خارجا فالقضية فرضية تحقيقية(لان وجوده فى الذهن محقق) مثل: كل انسان او عنقاء او زيد ممكن بمعنى ما حصل في الوجود التعقلى محققا لو وجد في الخارج و كان انسانا او عنقاء او زيدا فهو على تقدير وجوده التعقلى(اى فى أذهان البشر) ممكن و كذا اجتماع النقيضين

محال او مقدرا ذهنا علما و خارجا و هو نقائض المفهومات الشاملة و مساوياتها فالقضية ذهنية تقديرية فرضية مثل : اللاشيء او المعدوم المطلق محال بمعنى ما لو وجد خارجا او ذهنا و كان لاشيئا او معدوما مطلقا فهو على تقدير وجوده فى الذهن محال.

فالقضايا الأزلية خمسة الخارجية و الحقيقية و الذهنية الحقيقية و التحقيقية و الذهنية الفرضية التقديرية اذ المراد بالذهن ما يشمله علمه تعالى كما اشرنا له و لا يتصور فى الأزل الذهنية الحقيقية التقديريةاذ كل ما هو محقق الوجود فى الخارج فهو معلوم له تعالى لا للبشرمثل ذاته و صفاته الموجودة خارجا مع انها لا تحصل فى اذهان البشر الا فرضا على القول الحق فوجدت تلك السادسة بالنسبة الى اذهان البشر.

ثمّ ان الخارجية الأزلية خارجة فيما لايزال ايضا فالله حيّ خارجية من الأزل الى الأبد و كذا الذهنية الفرضية التقديرية لا يزال حالها فيما لا يزال فللكلام النفسى بها تعلق واحد منجز مستمرّ من الأزل الى الأبد و الذهنية التحقيقية الحقيقية الأزلية تكون فيما لايزال بالنظر الى أذهان البشر حقيقة تقديرية فكلامه النفسى بالنظر الى الوجود الخارجى له تعالى واحد منجرمستمر من

الأزل الى الأبد و بالنسبة الى وجوده الذهنى له تعلق معلق فى الأزل و فيما لا يزال و الحقيقة الأزلية قد لا يتغيّر حالها فيما لايزال فالكلام متعلق بها تعلقا تعليقيا مستمراً فقط مثل: كل عنقاء طائر و قد يتغيّر مثل: كل انسان حيوان و زيد اسود و قال فرعون فيتحقق تعلقان تعلق ازلى و منجز لايزال و تكون خارجية فيما لايزال والذهنية الفرضية التحقيقية قد لا يتغير حالها مثل: كل عنقاء ممكن فله بها تعلق واحد معلق مستمر و قد يتغير مثل كل انسان ممكن اذ تصير فيما لايزال حقيقة تحقيقية فله بها تعلقان معلق ازلى و منجز لايزالى فعلم انه لكلامه النفسى تعلق واحد منجز فى البعض و معلق فى البعض الآخر و له تعلقان بالنظر الى بعض آخر و على هذا الثالث يحمل اطلاق المتكلمين ان للكلام النفسى تعلقين.

ثم اعلم ان الله تعالى ينشر نورا فى جميع ذرات وجود البشر المادية و المجردة يحصل له بسبب ذلک النور قوة فى جميعها يقدر بها على الاحساس و التوهم و التخيل و التعقل لكن غطاء عالم الخلق ستر البصر الا فى الباصرة و السمع الا فى السامعة و كذا سائر الحواس الظاهرة و الباطنة الا فى محالّها و يزال ذلک الغطاء فى هذه النشأة فى مثل الجنون و كسب الطريق و

لذلک یری النائم و المجنون و الولی ما لا یراه غیرهم و یزال ایضا بالموت فیری المیت و یسمع و یذوق و یلمس و یشمّ بذرات وجوده فی القبر و الجنّة و النّار و ما بینهما کما قال تعالی(فکشفناعنک غطائک فبصرک الیوم حدید) و بناء رئیته تعالی لا فی جهة علی هذا فالبصر و السمع فی البشر ایضا شامل لجمیع ذرات وجوده فقول الصوفیّة بالفرق بینه و بینه تعالی صحیح نعم بینهما فرق من وجوه أخر مثل الحدوث و الزوال و وجود الغطاء فی البشر و أضدادها فیه تعالی، وصلّی الله علی محمّد و آله و صحبه و آخر دعوانا ان الحمد لله ربّ العالمین.

رسالة

التوسل

للعالم الربّانى المدرّس الكردستانى

الملاّ محمّد باقر

المدرّس فى قرية بالك مريوان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله و صلى الله على محمّد وآله.

اعلموا يا اخوانى انه دل البرهان القاطع العقلى و النقلى على انه لا مؤثر فى الوجود و لا خالق لشئ سوى الله تعالى الله خالق كلّ شىء و أجمع على ذلك أهل الملل و الأديان و المسلمون قبل ظهور اهل البدع و الأهواء لكن جرى عادته تعالى انه لا يجرى شىء فى ملكه الا بوسيلة عادية و من راجع وجدانه و نظر فى العالم رأى بالعقل البديهىّ ان البشر يتعاوره أبدع الوسائل من أول زمان وجوده الى أبد الآباد بدون اختياره معاشا ومعادا وأنه يتداول باختياره الوسائل معاشا و معادا من اول زمان حياته الى آن زمان انقطاعها.

فله اربعة اقسام من الوسائل، الاضطرارية المعاشية و الاضطرارية المعادية و الاختيارية المعاشية و الاختيارية المعادية و لكن الله تعالى قد يخرق تلك العادة فيوجد الأثر بدون الوسائل العادية بل و مع وسائل عادية تقتضى خلاف ذلك الأثر ليرشد الناس الى ان تلك الوسائل عادية يمكن الله ان يخلق الأثر بدونها و يعدمه مع وجودها مثلا جعل الوالدين سببا عاديا فى خلق البشر

و خرق ذلک فی سیدنا آدم و عیسی علیهما السلام و جعل الحرارة المفرطة و البرودة المفرطة سببا عادیا فی احراق الحیوان و اهلاکه و خرق ذلک فی سیدنا ابراهیم علیه السلام و قال (قلنا یا نار کونی بردا وسلاما علی ابراهیم)و فی السمندل و فی حفظ الحیوانات البریّة و البحریة عن الهلاک فی الشتاء الکثیر الثلج فی الأقطار الباردة الی غیر ذلک مما عدُّه یورث الملال فصار الناس فی ذلک طبقات شتی.

منهم من ینفی الصانع و یزعم ان تلک الوسائل من المؤثرات بالذات کالمعطلة و الطبیعیین و الدهریین.

و منهم من یزعم الصانع موجبا لا مختارا و انه فاعل و خالق بالایجاب و ان تلک الوسائل شروط و وسائط اعدادیة بمعنی ان الله لا یمکنه ان یوجد الأثر بدون تلک الوسائل و لا ان لا یوجده مع تمام وجوداتها و هؤلاء الفلاسفة و من یحذو حذوهم.

و منهم من یزعم ان بعض الوسائل خالق و هم المشرکون و هؤلاء الطبقات الثلاث کفرة مخلدون فی النار.

و منهم من یزعم ان تلک الوسائل لا دخل لها اصلاً و لو عادة و هم الجبریة و قولهم مخالف لبداهة العقل و الحس.

و منهم من يزعم ان الحيوان هو المؤثر و الخالق فى افعالـه الاختيارية و هم المعتزلة و من يحذو حذوهم.

و الحق كما عليه اهل الملل و الأديان ما مرّ من انها وسائط و وسائل عادية كما هو واضح و حينئذ يـصير النـاس حـين رؤيـة الوسائل ثلاثة أصناف.

صنف مطلقون اى يصدر عنهم الافعـال اطلاقـا و لا يخطـر ببالهم حين صدورها عنهم تفصيل انها من الله و الوسـائل عاديـة و هم اغلب الناس.

و صنف كلما رأوا الآثار يجعلونها طريـق التـصديق بانهـا صدرت من الله بالذات و ان الوسائل عاديـة و هـؤلاء العرفـاء فـى ابتداء سلوكهم.

و صنف كلما رأوا تلك الآثار رأوا منها لقاء الله و تجلياته و هم كمّل العرفاء فـانهم زادوا علـى التـصديق اليقينـيّ المـشاهدة العينية و على هذا الطريـق اعنـى رؤيـة الـصانع مـن المـصنوع و الترقى من الخلق الى الخالق جرى سيدنا موسى {على نبينا و عليه الصلوة و السلام} حيث قال : (كلاّ ان معى ربّى سيهدين).

و صنف كلما أرادوا ان يروا أثراً توجّه عين قلوبهم و بصائرهم الى الله تعالى ثم تنازلوا الى الخلق و يرون منه الأثر و على هذا جرى سيّدنا محمّد صلّى الله عليه و سلّم حيث قال:(لا تحزن ان الله معنا) فقدّم الله على نفسه عكس سيّدنا موسى عليه السلام.

فعلم ان الوسائل المعاشية و العادية اختيارا او اضطرارا من البديهيات العقلية و الحسية و ان الشخص بادراكها و القول بها لا يكون مشركا الا اذا زعم انها مؤثرات و فواعل بالذات او شروط اعدادية و ما من مسلم يخطر بباله ذلك و الزمنا أنفسنا ان نعد العمدة من كل من تلك الوسائل الأربعة تبصرة للقاصرين و تذكرة للذاكرين اما الوسائل المعاشية الاضطرارية فبعضها محسوس وبعضها مبرهن عقلاً و نقلاً فمنها اصلاب الآباء من سيدنا آدم عليه السلام الى الأب الأقرب و ارحام الأمهات من سيدتنا حواء عليها السلام الى الأم القربى و الى ذلك أشار الله تعالى بآيات مثل قوله (فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلّقة و غير مخلّقة لنبيّن لكم) الآية. و اشار اليها النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بأحاديث منها قوله ان أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه

أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يُرْسَل اليه الملك فينفخ فيه الروح.الحديث(١)

و تحقيق ذلك ان الله تعالى أودع فى صلب سيدنا آدم عليه السلام ذرات صغيرة جدا بعدد ما سيوجد من البشر الى قيام الساعة مخلوقة من تراب طينة كما صرّح به العرفاء منهم صاحب عوار ف المعارف و صرّح به المفسرون فى تفسير آيات كالجلالين فى تفسير {اهبطوا} فى سورة البقرة حيث قال اهبطوا بما اشتملتما عليه من الذرّ و فى نسخة ذريتكما و البيضاويو غيره فى تفسير آيات مثل:(أذن فى الناس بالحج يأتوک رجالا و على كلّ ضامر) حيث قالوا ان الله أسمع قول سيدنا ابراهيم عليه السلام من فى أصلاب الآباء و أرحام الأمهات (٢) و مثل (حملناكم فى الجارية) حيث قالوا وحملنا آبائكم و أنتم فى أصلابهم و مثل و اذ أخذ الله من بنى آدم من ظهورهم ذرّيّتهم الى آخر الآيات حيث قالوا ان الله

---

(١) رواه البخارى و مسلم.

(٢) روي أنه عليه الصلاة والسلام صعد أبا قبيس فقال " يا أيها الناس حجوا بيت ربكم ، فأسمعه الله من أصلاب الرجال وأرحام النساء فيما بين المشرق والمغرب من سبق في علمه أن يحج "

أخرج تلك الذرّات من صلب آدم عليه السلام و ركب فيهم العقول و أشهدهم على أنفسهم الى آخر ما فى التفسير و انكار الأمامين الرازى و البيضاوى بهذه القضية ليس من حيث انكارهم وجود تلك الذرات فى صلب آدم عليه السلام فانه صرّح بذلك فى مواضع من غير نكير بل لزعمه ان تركيب العقول فيهم ثم ازالتها عنهم ثم احيائهم تناسخ و ليس هذا الزعم بصحيح لان التناسخ انما هو تعلق روح ببدن بعد تعلقه ببدن آخر و هنا ليس كذلك لان ذلك الذر هو عين مادة البشر من

اول زمان وجوده الى آخره لا بدن آخر حتى يكون من التناسخ المحال بل هو كتعلق الروح فى القيامة بالبدن الأول بعد زواله عنه على أنه لو تم ما زعمه جرى هذا فى الاحياء الأبراهيمى الذى أخرجه فى تفسير {وأذن فى الناس بالحج} و لم يرده و كأنه لمثل ذلك قال الشيخ ابن حجر رضى الله عنه(عبارة الفتاوى الحديثية: و نقل ان الشارع أخبر ان الملائكة و البهائم و الآدمى تتطوّر فى الأحياء و الاماتة مرّات كثيرة فالآدمىّ يتطوّر فى الاحياء و الاماتة ستة الاولى يوم ألست بربكم آه الثانية الاحياء الدنيوىّ المشهور لكل أحد الثالثة احياء القبر عند مجيئ الملكين للسؤال الرابعة الاحياء الابراهيمى حين نادى عند بناء البيت)

فى الفتاوى الخاتمة(الاحيائة(١) الأولى يوم ألست بربكم حين استخرجوا من ظهر آدم كالذر و يقال انه كان مرتين قيل و كانت ارواحا بلا أجسام و الحق عند اهل السنة انها كانت مركبة فى أجسام وانكر هذا طوائف و عجيب من البيضاوى و غيره انه وافقهم و قد قال بعض الأئمة ان انكاره الحاد فى الدين. انتهى و الحاصل ان كل بشر مشتمل على ذرات ما سيوجد من نسله الى قيام الساعة فأصلاب الآباء و أرحام الأمهات وسائل عادية معاشية اضطرارية. و منها القوى النامية و الغاذية و الهاضمة و الجاذبة و الماسكة و الدافعة و المولدة و المصورة و الحساسة و المحركة و العاقلة و منها جعل الأرض فراشا و قرارا

و السماء بناء و الليل سكنا والنهار مبتغى و الشمس و القمر حسبانا و الطعام و الشراب متاعا لكم و لانعامكم و الفواكه و الأدوية فتصريف الرياح و السحاب المسخر بين السماء و الأرض و الأمطار و الثلوج و البرد الى غير ذلك مما يتوقف عليه اعاشة الحيوان و الانسان و يحس به كل احد و نطقت بها الآيات و منها ثلثمأة ملك فى الليل و ثلاثمأة فى النهار يحفظون البشر فى حركاته و سكناته و يعينونه فى حوائجه و يصونه من الهلهة كما

نطقت به أحاديث صحيحة و اشار الله تعالى له فى القرآن بآيات منها قوله(له معقبات من بين يديه و من خلفه يحفظونه من أمر الله).

و منها أرواح و أملاک مأمورون من عند الله فی البحار و البراری و الصحاری يعينون الناس سواء علم الناس بهم و دعاهم و استغاث بهم او لا و هؤلاء المسمون بملک البحار و ملک البراری الی غير ذلک كما ورد فی أحاديث صحيحة منها ما رويه ابن السنی الخ (باب ما يقول إذا انفلتت دابته) ٦٣٢ – روينا في كتاب ابن السني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد : يا عباد الله احبسوا ،يا عباد الله احبسوا ، فإن لله عز وجل في الأرض حاضرا سيحبسه " قلت : حكى لي بعض شيوخنا الكبار في العلم أنه انفلتت له دابة أظنها بغلة ، وكان يعرف هذا الحديث ، فقاله ، فحبسها الله عليهم في الحال ، وكنت أنا مرة مع جماعة ، فانفلتت منها بهيمة وعجزوا عنها ، فقلته ، فوقفت في الحال بغير سبب سوى هذا الكلام.(الأذكار)

و قد ذكر الله تعالى فی القرآن العظيم حكاية خرق سيدنا الخضر عليه السلام السفينة لنجاتها من تسلط الملک الغاصب عليها و قتل الغلام لانجاء أبويه من الفسق و الكفر بسببه و بناء الجدار على كنز اليتيمين ببركة صلاح أبيهما السابع ليبلغا كنزهما بعد بلوغهما و انكار سيدنا موسى على نبينا و عليه الصلوة و السلام عليه

ليرشد الناس الى ان للعالم ظاهرا و باطنا و ان لله تعالى بالنسبة الى ظاهر العالم مأمورين ظاهرين يحس بهم و بافعالهم و بالنسبة الى باطنه مأمورين باطنين لا يحس العامة بهم و لا بأفعالهم و ان من انكر افعال المأمورين الباطنين الذين هم من خواص عباد الله المطلعين على الأسرار و الدقائق يكون سببا لتبعيده عن ساحة القرب و باعثا لفراقه عن ادراك الحقائق و الا فسيدنا موسى على نبينا و عليه الصلوة و السلام كان عالما بل أعلم من سيدنا الخضر عليه السلام و انكاره كان بحسب الظاهر فان سيدنا موسى كان نبيا و رسولا و من اولى العزم و سيدنا الخضر اما نبي او ولى منحط رتبته عن رتبته غاية انحطاط فيا أيها الأخوان ان أنصفتم كفاكم هذه القضية و ايقنتم بان الاستغاثة بالمأمورين الباطنين من منطوق الآية و من أصول الدين الحنيف و اما الوسائل المعاشية الاختيارية فمثل الأكل و الشرب و التداوى و التفكه و الاستعانة بمثل البقر فى الحرث و بمثل الكوز فى شرب الماء و بمثل البندق فى دفع العدوّ و بمثل الفرس و المشى عليه فى بلوغ المنزل المقصود الذى لا يوصل اليه الا بشق الأنفس و الاستغاثة بالأساتذة فى تحصيل العلوم و كسب الصناعات و الألتجاء الى الأحباب و الأجناد فى

دفع الأعداء بل فى حمل العدل على ظهر الدابة و باللباس فى دفع الحر و البرد الى غير ذلك من الوسائل الاضطرارية و الاختيارية التى لايجهلها المجنون و الصبى فضلا عن العاقل البالغ و اشار له القرآن العظيم حيث أمدّ النبى صلّى الله عليه و سلم فى مواطن كثيرة بالأملاك جريا على عادته من تحصيل الأشياء بالوسائل و أشار فى كل موضع الى ان الناصر المؤثر فى النصر حقيقة هو الله و قال: (و ما النصر الاّ من عند الله) و قال فى موضع آخر (هو الذى أيدك بنصره و بالمؤمنين) و فى آخر (حسبك الله و من اتبعك من المؤمنين)اشارة الى انه يشفّع التأثير الحقيقى فى كل وقت بالتأثير العادى و اشار بقوله :(اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنّى ممدكم بالف من الملائكة مردفين) الى ان من استغاث الله أغاثه لكن كثيرا ما يمده بالوسائل العادية جريا على عادته ثم جميع تلك الوسائل المعاشية الاختيارية و الاضطرارية وسائل عادية معادية اذ لولا كمال البدن و قوته لا يقتدر الشخص على كسب المعارف الربانية و اقتراب الحسنات و اجتناب السيئات.

و يزيد الوسائل المعادية بأشياء أخر فمن الوسائل المعادية الاضطرارية الروح المجرد الانسانى لكل أحد فان شأنه فى ذاته و

مقتضاه بحسب طبعه الخير المحض و الوصول الى الله و زيادة القرب الى ساحة القدس و الاستغراق فى التجليات و لولا ارتباطه بالنفس الأمارة و تنزله من العالم العلوى النورانى الى العالم المادى السفلى الظلمانى لم يصدر من صاحبه شر لا كفر و لا فسق.

و منها انزال الكتب و ارسال الرسل عليهم السلام و توسعة العلوم الظاهرة و الباطنة و العلماء الربانيون من الأولياء و علماء الظاهر وان كلا من ذلک هداة الى الله تعالى و عون لوصول العامة الى المعالم الدين القويم و غوث لسلوک الصراط المستقيم كما يحس به كل أحد ونطق به الآيات الكثيرة و الاحاديث الجمة الم ذلک الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الآية و انزلنا اليک الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم الآية.

ومنها أرواح الصلحاء المؤمنين احياء او أمواتا كما روى الى آخر ما فى الفتاوى الحديثية.

و من انصف و نظر الى ما تواتر بين العامة و الخاصة من أمر النبى صلى الله عليه وسلم و اجماع الأصحاب عليهم السلام و من بعدهم قرنا بعد قرن على ندب السلام على الأموات و المقابر و استدعاء و استيداع الشهادتين منهم حيث يسن ان يقول الزائر سلام

عليكم دار قوم المؤمنين انتم سابقون و نحن لاحقون بكم ان شاء الله آمنين و نستودعكم شهادة ان لا اله الاّ الله و ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم علم ان الأموات أحياء و انهم يسمعون كلام الزائرين ويعينونهم فى استعاذاتهم و يحفظون لهم ايمانهم بالله و رسوله صلى الله عليه و سلم و يؤدون شهادتهم لهم فى القيامة و هل ذلك الا وسيلة معادية.

و منها الأمكنة المتبركة و الأزمنة المباركة الا ترون ان الله جعل فى كل ملّة يوما مباركا سببا لفضل العبادة فيه كالسبت لليهود و الأحد للنصارى و الأثنين لقوم داود و الجمعة للمسلمين و جعل ليلة القدر خيرا من ألف شهر و فضل ستة من شوال و تسع ذى الحجة و غير ذلك من الأيام كما هو مذكور فى كل مذهب من المذاهب الاسلامية للصيام و العبادات والا تعلمون ان الله جعل لكل ملة قبلة كالكعبة المعظمة و بيت المقدس الشريف و جعل تلك الأمكنة مظهرا للتجليات و أمر سيدنا موسى و قومه ان يجعلوا بيوتهم قبلة و الا ترون انه ورد فى الحديث الصحيح كما فى البخارى و غيره ان الأصحاب عليهم السلام يلتمسون من النبى صلى الله عليه وسلم ان يصلى فى زاوية من زوايا بيوتهم حتى

تصير مباركة فيصلون فيها و تصير سببا لزيادة فضل صلواتهم و الا تنظرون الى السير و تأريخ الأصحاب عليهم السلام حتى تعلموا انهم أجمعوا على دفن سيدنا محمّد صلى الله عليه وسلم فى بيت سيدتنا عائشة عليها السلام ثم على دفن الشيخين ابى بكر و عمر عليهما السلام فيه و لم يدفنوهم فى مقابر المدينة المنوّرة ليشيروا الى انه يجب تعظيم مقابر الانبياء و الأولياء لا لذاتهم بل لأنهم مظاهر للانوار الربانية و معالم للأسرار الرحمانية و من ثم كلما أرادوا سفرا للجهاد او غيره او عادوا عنه زاروا اولا قبر النبى صلى الله عليه وسلم و استمدوا به عند الله ان يعينهم فى حوائجهم و كان تعظيم الازمنة و الأمكنة و الصلحاء و مقابرهم شرعة و منهاجا فى كل دين لكن الملل السابقة حرفوا دينهم جهلا او عنادا فكانوا يعظمون تلك الأزمنة و الأمكنة و الصلحاء و المقابر لذاتها فتدرجوا فى ذلك الى ان زعموا ان هؤلاء مؤثرات و افرط جهلة متأخريهم حتى ظنوا ان تماثيل الصلحاء آلهة فصاروا مشركين و وثنيين دفع الله ذلك فى القرآن بآيات و اشار الى ان فضل ذلك ليس لذاته بل لانها مظاهر فقال(اينما تولوا فثمّ وجه الله) و قال (ليس البرّ ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب و لكن البر من

آمن بالله) الآية. و لمثل ذلک قال النبی صلی الله علیه وسلم فی مرض موته لعن الله الیهود و النصاری اتخذوا قبور انبیائهم مساجد و نهی سیدنا عمر علیه السلام الناس ان یعظموا المحال التی صلی فیها النبی صلی الله علیه وسلم بین المکة و المدینة فلا یصلوا فیها و نهی بعض العلماء عن القیام حین یذکر ولادة النبی صلی الله علیه و سلم فی محافل المولودیات و شدّدوا النکیر فی ذلک و اعلنوا به لئلا یظن الجهلة ان تعظیم الازمنة و الامکنة و المقابر و الصلحاء لذاتها فیقعوا فی ورطة الاشراک کما وقع فیه جهلة الأمم السابقة لکن لما استحکم فی قلوب الناس ان تعظیمها لیس لذاتها بل لانها مظاهر لانوار الله کان سیدنا حبر الصحابة عبد الله بن عمر علیهم السلام کلما یمشی بین مکة و المدینة یتجسس الامکنة التی نزل فیها النبی صلی الله علیه و سلم او صلی فیها فیتنزل فیها و یصلی فیها بمحضر الاصحاب علیهم السلام و لم ینکروا ما فعلوه کما فی الکتب الصحاح کصحیح البخاری و غیره فدل تلک الآیات و الأحادیث و الآثار التی کادت ان تکون مجمعا علیها علی ان الازمنة و الأمکنة و المقابر و ارواح الاموات و الأحیاء وسائل عادیة فی کسب الخیرات و زیادة الفضل و انه اذا اعتقد جهلة

العوام انها مباركات فى ذواتها او مؤثرات بذواتها يجب على الخواص من الأولياء و العلماء ان يشددوا النكير عليهم و سدوا باب التعظيم بل الزيارة عليهم و ينبهوهم ان لامؤثر و لا عظيم الا الله تعالى و اذا زال هذا الاعتقاد و علم الناس ان زيارتها و القرب اليها {انماهى} لانها مظاهر لم يمنعوا من ذلك بل ارشدوا الى التقرب بها الى الله تعالى و على هذا استحب المتأخرون القيام عند سماع ولادة النبى صلى الله عليه وسلم و التوجه به الى الله تعالى.

و اما الوسائل المعادية الاختيارية فهى صرف العبد قواه فى العبادات و فى اكتساب المعارف الربانية و تحصيل العقائد الحسنة الدينية حتى يتقرب الى الله و يستحق دخول الجنة و الخلوص من النار فان المثيب وان كان هو الله تعالى بمحض فضله و جوده وكرمه و الأعمال غير جديرة فى ذاتها ان يتسبب عنها العفو كما يدل له آيات و أحاديث كحديث صحيح البخارى و غيره بطرق صحيحة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال: لن يدخل احدا عمله الجنّة قالوا و لا أنت يا رسول الله قال و لا أنا الا ان يتغمدنى الله بفضل ورحمة (وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قاربوا وسددوا، واعلموا أنه لن ينجو احدٌ منكم بعمله، قالوا:

ولا أنت يا رسول الله ؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمةٍ منه وفضلٍ)رواه مسلم.الا ان الله تعالى جعلها وسائل عادية كما نطقت بـه الآيـات و الأحاديث.

فيا ايها الانسان بعد ان تلونا عليک ما ذکرنا لم يبـق لـک مريب و مشكک و وجـب عليـک ان تـؤمن بأنـک لا تخلـو فـی ظاهرک و باطنک لحظة يقظة و مناما و غفلة و تذکرا عن توسلک بالوسائل و احاطة الوسائط العادية بجوانبک الظـاهرة و الباطنـة و انت تستغيث فی حوائجک المعاشية و المعادية بکل بـرّ و فـاجر و تستعين فی حرکاتک و سکناتک بکل مؤمن و کافر بل بکل جماد و حیّ فتقول بلسان حالک او مقالک يا ايتها الارض امنعينـی مـن السقوط و النزول و يا ايتها المظلة ادفعی عنی الحرّ و البـرد و يـا ايها الرجل اعنی فی حمل العدل علـی الراحلـة و يـا ايهـا الطبيـب الکافر العدو لی فی الدارين ناولنی الدواء لدفع مرضی و لا يخطر ببالک ان کلا من ذلک وسيلة عادية و ان الغوث الحقيقی و المعين الواقعی هو الله تعالی بل ظاهر حالک يدل علی أنک تعتقد أنه لولا تلک الوسائل لم يحصل مرادک حيث لو قيـل لـک فـی مرضـک توکل علی الله و لا تراجع

الطبيب الكافر او فى تحصيل معاشك توكل على الله و لا تخدم الكفرة و لا تطلب منهم شيئا تستهزء بالقائل بل تنسبه الى الجنون و تقول كيف يبرء المريض من مرضه بلا طبيب سيما أحباء الكفر فانهم اتقنوا صنعة الطبابة وكيف يعيش الشخص بدون التقرب الى الكفرة فانهم ذووا مال و ثروة و نفاذ الى غير ذلک مما هو معلوم من حالک و تزعم انک بالغ الى أعلى مراتب التوحيد و لكن اذا قال أحد عندک يا رسول الله صلى الله عليه وسلم او يا ايها الشيخ الحى او يا عبد القادر الجيلانى أعنى فى الشىء الفلانى توسوس اليک نفس الأمارة و يدسس عليک الشياطين ان هذا القول اشراک و كفر وتشدد الانكار على القائل و تشتم المنادِى و المنادى فان زعمت ان هذا القائل يظن ان المنادى مؤثر بالذات فهذا سوء ظن بأخيک المسلم مع ان الآيات والأحاديث ناطقة بانه لو صدر كلمة كفر على لسان شخص يجب ان تؤول حسبما يمكن و لا اختصاص لهذا الظن بمجرد ذلک بل هو جار فى قولک يا ايها الطبيب الكافر اعنى فى دفع مرض فانت ايضا مشرک بل أقبح حالا منه حيث أشركت كافرا عدوا لک و لربک له تعالى و هذا القائل استغاث بنبى او ولى صديق له تعالى و انت تستهزء به و ما ذلک الا

لأنک فضلت الكافر بل الجماد حيث تتوسل بهما فى حوائجک على اولياء الله تعالى ونسيت قوله تعالى أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) يونس .وتناسيت الحديث القدسى الربانى الوارد بطرق صحاح فى الكتب الصحاح عن النبى صلى الله عليه وسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله تعالى قال: من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب. وما تقرب إلى عبدى بشيء أحب إلى مما افترضت عليه: وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، وإن سألنى أعطيته؛ ولئن استعاذنى لأعيذنه رواه البخاري.

آذنته: أعلمته بأني محاربٌ له استعاذنى روى بالنون وبالباء. وزاد فى بعض الطرق (و لسانه التى يتكلم بها و فؤاده الذى يعقل به) فانه شاهد صدق على ان الولى موجود و انه اهل مكاشفة و انه لا يجرى منه شيء و لا حركة و لا سكون لا ظاهرى و لا باطنى الا بأذن خاص شهودى منه تعالى و ان باغضه و المستهزء به محارب

لله تعالى و ان انكار ذلك انكار لأصل مهم من أصول الدين فان زعمت ان الولاية حق و لكن هذا الزمان خال عن الولي او ان كل من أريه ليس بولي لأنه يأكل ويشرب ويمشي في الاسواق فانت تناسيت قوله صلى الله عليه وسلم : – حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى عَنْ إِسْمَاعِيلَ عَنْ قَيْسٍ عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ)الى آخر الأحاديث المنقولة سابقا مع ان حالك تشبه حال الاسرائيلية و المشركين حيث قالوا ان النبوة حق لكن محمدا لكونه ماشيا في الاسواق و آكلا وشاربا و معاصرا لنا ليس بنبي و لعل امّارتك بالسوء تدسس عليك و تسول لك ان لا تستمع لما تلى عليك و ألغ فيه و نقرء عليك آيات و أحاديث كالحديث الصحيح فيما اوصى به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سيدنا ابن عباس رضى الله عنهما(عن ابن عباس، رضى الله عنهما، قال: كنت خلف النبي، صلى الله عليه وسلم، يوماً فقال: يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم: أن الأمة لو

اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء؛ لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك؛ رفعت الأقلام، وجفت الصحف رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ).

و نقول لك هذا و أمثاله صريحة في ان سؤال غير الله و الاستعانة بمن سواه حرام بل اشراك فقل في جوابها التوسل بالوسائل مما لا يخلو عنه البشر كما دل عليه ما سبق من الآيات و الاحاديث و كما ان سيدنا موسى على نبينا و عليه الصلوة والسلام لما جعله الله رسولا مؤيدا بالمعجزات الباهرات كالعصا و اليد البيضاء و غيرهما لم يقنع بذلك بل طلب وسائل أخرى علمية و عملية داخلة فيه و خارجة فيه كشرح الصدر و حل العقدة من لسانه و تيسير أمره و جعل أخيه هرون عليه السلام وزيرا له و شد أزره به و اشراكه له في أمره معللا ذلك بان ذلك يكون سببالكثرة التسبيح و الذكر فقال: (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨) وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي

آمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً) ولم يعاتبه ربه بان يقول له لم تتوكل على و لم ترض بنصرى لك و وعدى لك انك ستغلب فرعون و قومه و طلبت منى تقويتك بغيرى فانت مشرك بل أقرّه على ذلك و قال: لقد اوتيت سؤلك يا موسى فدل ذلك على ان التوسل بالوسائل ممدوح فى حوائج المعاش و المعاد و لذا قال تعالى و تعاونوا على البر والتقوى و لا تعاونوا على الاثم والعدوان فدل ذلك على ان التعاون و الاستعانة موجودة فى كل من البر و العدوان لكنه فى الاول مأموربه و ممدوح و فى الثانى منهى عنه و مذموم و قال تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله و ابتغوا اليه الوسيلة و جاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون و هذا يدل على ان التقوى الشاملة لجميع وجوه العبادات و المعارف التى منها تحصيل الامور المعاشية يقصد تقوية امور المعاد مشروطة عادة بابتغاء الوسيلة و ان المراد بالجهاد اعم من جهاد الكفرة الظاهرى و من جهاد الكفرة الباطنى اعنى جهاد النفس الامارة و الشياطين كما ورد بطريق كثيرة حتى كاد ان يكون متواترا (رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر) و ان المراد بالوسيلة اعم من الوسائل الظاهرة كاسباب الجهاد الاصغر و من

الوسائل الباطنة كوسائط الجهاد الاكبر من الاستعانة بالكتب السماوية و الانبياء عليهم السلام و الاولياء و العلماء قدس الله اسرار جميعهم و التخصيص ببعض دون بعض تحكّم بحت.

فتلخص بذلک ان معنى مثل اذا سئلت فسل الله الخ انه اذا اردت ان تسئل شيئا من احد سواه تعالى او استعنت بغيره تعالى فاسئل الله اولا و استعن به ابتداء فی خاطرک ان یوجه الیک قلب من تسئله او تستعين به الیک حتى یکتسب مأمولک اذ قلوب الخلائق بيده فما لم يجعله الله تعالى عونا لک لا یمکنه ذلک کما قال فی الحديث الصحيح و الله فی عون العبد ما کان العبد فی عون أخيه فانه كما انه دال على ان معاونة العبد لأخيه امر ممدوح و انه تعالى يجزيه و يعينه فی حوائجه كما اعان اخاه كذلک یدل على انه لو لم يعنه الله لم يقتدر ان يعين غيره و ربما يقال ان للتوکل مراتب ادناها ان يتحرى الشخص الأسباب معتقدا ان الله جرى عادته ان يحصل المسببات عند تحصيل الاسباب وان كان هو المؤثر و هذا شأن العامة من الناس و اوسطها ان يتحرى الأسباب من حيث كونهامظاهر لتأثير الله لا من حيث كونها اسباباو وسائل عادية و هذا وظيفة الخواص و اعلاها ان لا يتحرى الاسباب اصلاً

و يتوجه بشراشره الى جانب القدس و لا يحوم حول الوسائل اصلاً و هذا شأن خاص الخواص و لكل من هذه المراتب درجات بعدد تعدد آحاد المتوكلين كما اشتهر ان الطرق الموصلة الى الله تعالى بعدد انفاس الخلائق حتى ان من ترك درجة تليق به شاغلا بأدونها عوتب منه تعالى و على هذا الباب ما روى ان يوسف طاف بأبيه عليهما السلام فى خزائنه فلما أدخله خزانة القراطيس قال يا بنى ما اعفك عندک هذه القراطيس و ما كتبت الىّ على ثمانى مراحل قال امرنى جبريل عليه السلام قال او ما تسئله قال انت ابسط منى اليه فاسئله فقال جبريل عليه السلام الله تعالى أمرنى بذلک لقولک و اخاف ان يأكله الذئب قال فهلا خفتنى

فنقول ان النبى صلى الله عليه وسلم اشار الى ان سيدنا ابن عباس رضى الله عنهما بلغ مرتبة التوكل الثالثة لا يليق به ان يتحرى الاولى و الثانية فبقاعدة ما تقرران جمع الدليلين ما امكن واجب يجب تأويل ما تعارضا بحمل ما دل على التوسل على من لم يبلغ المرتبة العليا من التوكل او على ان تحرى مع اعتقاد انه لا تأثير لها و حمل ما دل على النهى عنه على من بلغ المرتبة العليا منها او على من يزعم ان الوسائل مؤثرات.

فان زعمت ايها الانسان الفرق بين الوسائل الظاهرة لانك تشاهدها، فانكارها انكار للبديهى و الوسائل الباطنة فانها غير مشاهدة لک و لا يمكن احدا ان يجعلها مشاهدة لک لا لعدمها فی ذاتها و لا لامتناع مشاهدتها بل لانک لم تبلغ مراتب الشهود فحالک حال الاعمى المحيط به الضوء المنكر لوجود الضوء او مشاهدته لا لعدم الضوء و لا لعدم مشاهدته بل لان فيه آفة العمى المانعة لذلک و عناده حيث لم يقنع بقول المخبرين فان الآيات و الأحاديث كما ذكرنا بعضها و ذكر غيرها فی كتب العرفاء كأحياء العلوم لحجة الاسلام الغزالی عليه السلام و عوارف المعارف للقطب السهروردی عليه السلام دالة على حقية التوسل بالوسائل الباطنة و يا ايها الأنسان ويلا لک و ويحا لحالک انت لا تعلم شيئا حقيقة بل و لا تعلم كيف يتحرک أصبعک و بأی قوة تتحرک مع انها أقرب الأشياء المخلوقة اليک و لا تصغی لقول العلماء الجهابذة و الاولياء الذين انتشر صيت فضلهم و ذكر مزيد علمهم فی الآفاق اذ الاولياء و العلماء الربانيون من زمان السعادة الى زماننا هذا من الاصحاب والتابعين و التبع و غيرهم أطبقوا على التوسل بالاولياء و العلماء فی دروس العلم الباطن و الاستعانة

بأساتذتهم الا يرى ان الافاضل مثل سيدنا عبد القادر الجيلى عليه السلام و الأئمة الأربعة و امام الحرمين و الغزالى والشيخ ابن حجر و صاحب نهاية المحتاج و صاحب مغنى المحتاج الى قرننا هذا مثل ساداتنا العلامة النودشي و العلامة القزلجي و العلامة الجوري و العلامة الكانى كبودى و امثالهم خضعوا رقابهم للأولياء و خفضوا جناح الذل لهم و توسلوا بهم فى امور معاشهم و معادهم فالتوسل بالوسائل الباطنة كاد ان يكون مجمعا عليه بينهم فان زعمت انهم ناقضوا فى ذلک فهذا تضليل و تفسيق لخواص أمة المحمدية بلا دليل ظاهر او انهم جاهلون فهذا تجهيل لهم و لا يمكن احدا ان يقبل قولک و ان زعمت ان اجماع هؤلائک معارض بقول كثير من جهابذة العلماء مثل ابن تيمية و من يحذ حذوهم سلمنا ذلک لكن نقول لک.

اما اولا فقولهم خرق لاجماع من قبلهم على حقية التوسل بالوسائل الباطنة و خرق الاجماع حرام.

و اما ثانيا بان ما استدلوا به على ذلک من ظواهر الكتاب و السنة معارض بصرائح أخرى منهما دالة على خلاف ما ادعوا فيجب الجمع كما ذكرنا سابقا.

و اما ثالثا فلانهم لما لم يشاهدوا ذلک و عليهم الغرور بحيث لم يقنعوا بقول غيرهم المشاهدين لذلک و بعدوا انفسهم عن اقليم سر دقيق من كان له قلب او القى السمع و هو شهيد و سكنوا ذواتهم فى تيه ظلمة صم بكم عمى فهم لا يعقلون و انقدح فى خواطرهم بتدسيس النفس الامارة التوسل بالوسائل الباطنة مما لا نريه و لا نعلمه و كل ما لا نريه و لا نعلمه فهو غير حق فلذلک كلما قرع اسماعهم آيات او احاديث دالة على حقية التوسل بالوسائل الباطنة اولوها بتأويلات فاسدة و لم يدروا ان كلية قولهم: و كل ما لا نريه الخ ممنوعة منعا ظاهرا اذ المغيبات لم تخطر ببالهم فضلا عن ان يروها او يعلموها مع انها حقة و تناسوا قوله تعالى: (و ما يعلم تأويله الاّ الله و الراسخون فى العلم يقولون)الآية ٧ آل عمران فانه يدل على انه يجب الايمان بما جرى به ظاهر الكتاب و السنة سواء علم الشخص تأويله كالعرفاء و العلماء الربانيين و عليه يحمل قول الخلف الاعلم بالوقف على لفظ العلم او لم يعلم تأويله غير الله و عليه يحمل قول السلف الاحكم بالوقف على لفظ الله.

و اما رابعا فهم لا يمكنهم انكار التوسل بالكتب السماوية و الرسل عليهم السلام و الا فقد كفروا و هى من الوسائل العادية

الباطنة و كذا الاولياء و العلماء الربانيون كما ينص عليه قوله تعالى(و لو ردّوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) الآية ٨٣ النساء. فدل على ان المشكلات ترد على اهلها و اهل مشكلات باطن الدين العرفاء فعلم ان الانصاف و المأموربه فى الدين الاقتصاد بين طرفى الافراط و التفريط ان يعتقد ان التوسل بالوسائل العادية معاشية او معادية ظاهرة او باطنة محسوسة او غير محسوسة اضطرارية او اختيارية ان كان بحيث يعتقد الشخص انها وسائل عادية جعلها الله تعالى مظاهر لقدرته و ارادته يمكن عدم المسببات مع وجود تمامها و وجود المسببات مع عدمها كان حقا او بحيث يعتقد انها مؤثرات بالذات كان اشراكا او انها وسائل اعدادية لا يمكن وجود المسبب بدونها و لا عدمه مع وجودها كان تفلسفا و قولا بايجاب الله تعالى و نفيا لاختياره و كفرا.

رساله جذبة

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه رسالة الملاالحاج محمد باقرالبالكى (رحمه الله) فى مسئلة:

هل تبطل صلاة الصوفية المجذوبة بالحركات والاصوات وهل يجوزلمن تمسک بشيخ ان ينتقل الي مرشدفى حياة مرشده الأول اوبعد مماته ام لايجوز؟

الجواب وبالله التوفيق:بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى رب اشرح لي صدري ويسّرلى امرى واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي .ولتوقف الجواب على بيان حقيقة البشروحقيقة الطريقة وحقيقة السلوك والسير والتزكية و الجذبة والتصفية ، نشير اولا الى اجمال هذه الحقايق فنقول:يسمى مافى سفل هذا العالم اعنى من مركزه الى محدب العرش بما فيه عالم الخلق لأنه قابل للخلق يعنى التصويرو التقديروعالم المشاهدة لقبوله الإحساس به والعالم السفلى والظلمانى لأنه اسفل العالم وبعيد فى ذاته عن النورية وعالم الماديات و

عالم الامكان لسرعة تبادل اوصافه وانتقاله كثيرا من العدم الى الوجود و من الوجود الى العدم وكل ما فى هذا العالم مكانى، يحتاج الى

المكان و يسمى ما فوق العرش الى ما لا يعلم نهايته الاالله؛ عالم الامر لعدم قبوله التصوير و عالم الغيب لعدم مشاهدته عادة بالحواس الظاهرة و العالم العلوى النورانى و عالم الوجوب لأنه و ان كان فى ذاته مخلوقا حادثا ممكنا لكن لكونه فانيا فى الله باقيا بالله يعرض له الوجوب بالغير بحيث لايفنى ما فيه اما مطلقا، كماهوعند من يقول ان الحشر بالجمع بعد التفرق او الاّ فى مثل لحظة عند النفخة الاولى عند من يقول ان الحشر باعادة المعدوم، و من ثم اجمع الحكماء و الصوفية والمليون والمسلمون على بقاء النفس الانسانية و عدم فواتها بعد الموت و خراب البدن و لانه قريب من الله فى ذاته الا اذا صارفى حكم الماديات كما فى حال الكفر و العياذ بالله ولانه يحضر عنده صور من اظلال صفات الله و ذاته بحيث يكون فى كل آن من آنات وجوده مع الله قريبا منه حاضرا عنده الاّ اذا تنازل بالكفر.فمن توهم من تسمية هذا العالم عالم الوجوب ان للبشرحظا من حقيقة الوجوب فهو ضلال و زنديقة من صوفية الاعاجم او سكر وقت و غلبة حال من محققى الصوفية الوجودية (قدس الله اسرارهم) كما حقق ذلك سيدنا الامام الربانى(قدس سره) فى مكتوباته و كل ما فى عالم الامر مجرد، لاحظ له

من البعد و المقدار،و الجهة و المكان، فجميع ما فيه و ان تعلق بالمكان فهو غير مكانى وتحقيق ذلک ان التعلق و يسمى حلولا و ظرفية و معية و قربا و احاطة اما تعلق جسم بجسم او عرض او تعلق عرض بعرض، او جسم ،و هذه الاربعة محسوسة لكل أحد،واما تعلق تجردى هو تعلق المجرد بالمادى او تعلق المجرد بالمجرد اوتعلق الله بجميع الماديات و المجردات بحيث لايعزب شىء منها عنه تعالى ،فكما انه لايشابه ولايماثل ذاته تعالى شىء من الاشياء و لايعلم احد غيرالله ذاته و صفاته بل لايمكنه الاطلاع على كنهه تعالى لغيره ولو فى الآخرة كذلک لايشابه و لايماثل تعلقه بالاشياء شىء من التعلقات و لايعلمه احد و لوفى الآخرة و اما تعلق المجرد بالمادى او المجرد بالمجرد فيعلمه العرفاء اهل البصاير المنفتحة عيون قلوبهم ولايمكن ان يتعلمه غيرهم الا اجمالا و لنذكر لذلک مثالا:لا شک انک اذا قابلت المرآة حصلت صورتک فيها مع الجزم بان حصولها ليس فى سطح المرآة و لا فى ثخنها و لا نظير صورتک فى بدنک او منقوشة على الكاغذ (الورقة)فهى كائنة فيها لا كائنة فيها لانها محسوسة و حاصلة فيها بحسب نفس الأمرلا فى الخارج ولا كالتعلقات الأربعة المارة و لا شک

ایضا انه اذا قابلت صورتک فی المرآة مرآة أخری تحصل صورتک فی المرآة الأخری، فحصول صورتک فی المرآة نظیر علاقة المجرد بالمادی و حصول صورتک فی المرآة فی مرآة أخری نظیر علاقة مجرد بمجرد فکما ان هذه الصورة حالّة فی المرآة مع عدم کون المرآة محلا و مکانا لها کذلک المجرد متعلق بالمادی مع عدم کون المادی مکانا له*و لما أراد الله ان یجعل البشر خلیفة فی الأرض لیترقی الی ابد الآباد جعل له حظا من عالم الخلق و حظا من عالم الأمر فما له من عالم الخلق منحصرفی لطیفتین الأولی: اللطیفة القالبیة وهی مشتملة علی العناصر الأربعة و النفس النباتیة التی هی مبدء للتغذیة و النماءو النفس الحیوانیة التی مبدء للحس و الحرکة الإرادیة و ما لها من القوی و اللوازم المبینة فی الحکمة والکلام و التصوف و الطّب .و الثانیة: النفس الإنسانیة الظاهرة التی بها امتیاز ظاهر الإنسان عن جمیع الأنواع و هی قابلة لجمیع العلوم الکلیة و الجزئیة و الصنایع و أمّارة اولا، ثمّ تصیر لوّامة، ثمّ مطمئنة، ثم راضیة ثم مرضیة* و ماله من عالم الامرخمس ، القلب والروح والسر و الخفی والاخفی*ومرتبة القلب فی عالم الأمرتحت الروح و هو تحت السر و هوتحت الخفی و هو تحت

الاخفى. و اذا تعلقت المجردات بالماديات تنست ما كانت عليه من القرب الى الله و الأنس به و تصير فى حكم الماديا ت فيتوجه البشر بجميع مادياته و مجرداته الى الزخارف الدنيوية و الشهوانية النفسانية و اللذائذ الجسمانية، حتى لو لم يحصل الجهاد الأكبر و غلبة الروح على النفس لبلغ كل أحد الى الكفر الحقيقى و حب الترفع بحيث يدعى الألوهية و يتعالى عن ان يكون له شريك فى التأله و المالكية و الملكية كماقال فرعون (ماعلمت لكم من اله غيرى) و من ثم ترى الصبى أولا يصول على الأكل و الشرب و اذا تميز يصول على الترفع و الغلبة ولا يتصور جانب الله اصلا الا اذا علّمه ابواه او غيرهما معالم الدين.فارسل الله الرسل(عليهم السلام) وأنزل الكتب فبهدايتهم الناس كانوا أحقاء بأن يتذكر مجرداتهم ما كانت عليه من القرب من الله تعالى و الأنس به فإن امتثل الشخص أوامر الله و انتهى عن مناهيه يكن من جملة الشاكرين و يتصفى مجرداته عن كدورات عرضت لها بالمزج مع الماديات بل تزداد صفاء بعد صفاء الى أبد الآباد و يتزكى مادياته تزكية بعد أخرى الى أبد الآباد عن النكارة و البعد عن الرزائل و ان كفر و العياذ بالله يزداد كل من مادياته و مجرداته نكارة بعد نكارة و

بُعداً بعد بُعد و خبثا بعد خبث فيخرج عن ساحة القدس بالكليـة، و الـى هذا الإشارة بمثل قوله تعالى(انا خلقنا الإنسان من نطفة أمـشاج نبتليـه فجعلناه سميعا بصيرا انّا هديناه السّبيل اما شاكرا واما كفورا) و جعل الله لكل من مادياته اصلا فى العالم الاكبـر فأصـل(١) مالـه مـن العناصـر العناصر الأربعة و أصل نفسه الإنـسانية الظـاهرة الأفـلاک الـسبعة و الكرسى و العرش و جعل اصل مجرداته تسعة عشر دائـرة .فتـصير مـع دائرة الامكان عشرين دائرة فنسبة كل دائرة سافلة منها الـى مـا عليهـا كنسبة ذرة الى عالم الامكـان .و لا يكمـل البـشر الا بـان يطلـع علـى حقايق هذه الدوائر العشرين و ملكوتها و دقائقها حسب الطاقة البشرية.

ولهذا الاطلاع درجات متفاوتة و مراتب مختلفة فـاطلاع الـولى مـثلاً دون اطلاع النبى و اطلاع النبى دون اطلاع الرسول ،بل بين اطلاعـات الاولياء تفاوت كثير و هكذا اطلاعات الانبياء مثلا متفاوتة و الـى هـذا الاطـلاع اشـار بقولـه (وكـذلک نـرى إبـراهيم ملكـوت الـسماوات

---

(١)المرادبالأصل هناالكل وبالأصل فى قوله واصل النفس الخ المتعلـق فـان عناصـر كل أحد اصل جزء من العناصر الأربعة ونفس كل لاتكمل الابالتعلق بالسماوات والكرسى والعرش.

والارض* والاولى من دوائر عالم الأمر تسمى دائرة القلب ودائرة الولاية الصغرى و دائرة ظلال الأسماء و الصفات اذ يتعلق الشخص باظلال اسماء الله و صفاته و شغل الولى فى هذه الدائرة مراقبتان الأولى المراقبة بوسيلة الرابطة اى التفكر فى الله و الاستمداد من ذاته تعالى لكن بعد احضار الرابطة فى اول الوهلة و تسمى مراقبة احدية الافعال اذ يوقن الولى فيها ايقانا بلا شائبة هواجس تردد اوريب بان جميع الافعال صادرة منه تعالى لا دخل فيها للعبد الا بالمحلية و بان الله هو الخالق وحده و الأسباب و الوسائل فى حكم العدم فيحصل له المرتبة الأولى من مراتب التوحيد. الثانية المراقبة المعية فيحصل له حقيقة (و هو معكم اينما كنتم) اما وجدانا او احساسا وابصارا على اختلاف مراتب الولى قوة و ضعفا فالشخص الواصل الى هذه المرتبة تعرج مجرداته عن عالم الإمكان الذى مقداره خمسون الف سنة و سارت فى الدائرة الأولى من دوائر عالم الأمر مع انه يسمى مبتدئا فى الطريقة و لايكون ذا بصيرة كاملة و لاينفتح عين قلبه انفتاحا معتدابه حتى يرى المغيبات و يكتسب من الأرواح و قلما يرى الأرواح و يتذاكر معها لكن لعدم تزكية نفسه لا يأمن من تدسيسات النفس و

تسويلات الشياطين و ربما يرونه الحق باطلا و الباطل حقا، فان لم يكن له مرشد ظاهر ماهر حي و لم يحك له ما وقع له ليبين له الحق من الباطل و يميز له الواردات الرحمانية من التدسيسات الشيطانية لضل وأضل و تسمى ثلاثة دوائر و قوس من الدوائر التسعة عشر الأمرية دوائر الولاية الكبرى .وفي هذه الدوائر المراقبة الأقربية المشار اليها بقوله تعالى(ونحن اقرب اليه من حبل الوريد) وقوله في الحديث القدسي الربانيي (ولايزال العبد يتقرب الىّ بالنوافل حتى احبه...) والمراقبة الاحدية اى احدية الذات بحيث لايرى الوجود في الحقيقة الاالله تعالى فيحصل المرتبةالثانية من مراتب التوحيد ، فيحب الله تعالى لذاته و يحبه الله لذاته و اليه الاشارة بقوله(يحبهم ويحبونه) و بقوله في الحديث القدسي: (فاذااحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصربه و يده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها و اذا سألني أعطيته و لأن استعاذ بى لأعيذنه.

و باقي الدوائر دوائر الولاية العليا، فمن أتم الولاية الكبرى فان كان بحيث يكون ذا بصيرة كاملة فله ان لايسلم نفسه لمرشد ظاهر لكن بشروط مبينة في التصوف بل يصح ان يجيزه مرشده للإشارد اماجازة

مقيدة اومطلقة وفق شروط مبينة فيه.فعلم ان من له الولاية الصغرى مطلقا وبعض من له الولاية الكبرى اى من لم يكن له بصيرة كاملة و لم يجزه المرشد للارشاد، لايامن مكر النفس وكيد الشيطان فيجب ان يراجع المرشد الظاهر الحى حتى يدفع اشكالاته و يبين له المسالک و المهالک،و من ثم نرى الامام الربانى (قدس‌الله‌سره) مع نهاية بلوغه أقصى مراتب الكمال و التكميل يكتب كثيرا فى مكتوباته الى الاولياء الذين أجازهم للارشاد وسألوه عن احوال و شروط انه امرهم بان يجيئوا اليه و يشافهوه ويذكر لهم باللفظ ما يصح لهم و يطالع بذاته ذواتهم و ان لم يمكن إتيانه أحد السائلين اليه كان يرسل اليه شخصا بصيرا يطالع حاله و يعلمه ما يصلح له و مكتوباته مشحونة بأمثال هذا كثيرا فلولا ان بلوغ الشخص اقصى مراتب المكاشفة و البصيرة شرطا لعدم إحتياجه الى لفظ المرشد الحى لتوجه الامام(قدس‌سره) بروحه الى السائل و دفع اشكاله و أخرجه عن ورطة الضلال على ان الكمل ايضا يحتاجون الى موازنة ما ينكشف لهم بالفاظ الكتاب والسنة فما وازنهما، فهو من الله و ما لا فمن الشيطان حتى ان سيدنا محمدا (صلى‌الله عليه‌وسلم) مع كونه أفضل الخلق وكمال عصمته و انسداد

باب تدسيسات النفس و تسويلات الشيطان بالكلية عنه و بلوغه في الحدسيات و علم المغيبات الى ما لايعلمه أحد غير الله تعالى كان لايعتمد على ما يظهر له الاّ بعد ان يوازنه بقواعد الفاظ القرآن وهذا معنى قوله تعالى(وماينطق عن الهوى ان هوالاوحى يوحى) فاستنبط جميع الاحاديث من القرآن الكريم لكن طريق فهمها مسدود على غيره(صلى الله عليه وسلم) كما قال تعالى (فلايظهرعلى غيبه أحداالامن ارتضى من رسول) الآية... فعلم ان البشر مركب من ماديات مذكورة و مجردات خمسة و ان محل سيره و كماله دائرة الامكان و تسعة عشر دائرة من عالم الأمر و يسمى سيره في عالم الإمكان ودائرة الولاية الصغرى و في دواير الولاية الكبرى سيرا الى الله لانه لم يقرب من الذات بحيث ينكشف عنده تجليات انوار ذاته سواء لم ينكشف عنده انوار تجليات الأسماء والصفات و الشؤون ايضا كما في دائرة الإمكان او انكشفت عنده على الترتيب كما في دائرة الولاية الصغرى و دوائر الكبرى و يسمى سيره في سائر الدوائر سيرا في الله للقرب منه و ظهور تجليات أنوار ذاته عنده، و رجوعه عن هذا لإرشاد الخلق يسمى سيرا عندالله بالله ،و سيره في الأشياء لتكميلها سيرا في أشياء الله بالله

فحينيذ يكون ببدنه مع الخلق و بروحه مع الحق و هذا معنى قولهم الصوفى كائن بائن: ثم السير اما سير تعقلي و علمى او سير تخيلى او سير قدمى او سير نظرى مثلا: من لم يرى الشمس أصلا و عرفها بوجه كلى منحصر فيها فهو سائر اليها سيرا علميا و تعقليا و إذا رءاها فحين إحساسه بها سائر اليها سيرا نظريا و بعد غيبتها عن باصرته سيرا تخيليا و ان فرض صعوده بجسده اليها فسائر اليها قدميا*

فالبشر لكونه مكلفا بعلم ذاته تعالى و صفاته سائر اليه تعالى بأحد الأنحاء الأربعة فمن كان من اهل الاستدلال او التقليد فسيره تعقلي و من كان من اهل العرفان فسيره نظرى أو قدمى او تخيلى على اختلاف درجاتهم.نعم سيرهم فى الدايرة الأخيرة وتسمى الدائرة اللاتعينية سير نظرى لإنسداد السير القدمى حينئذ ولكونه مكلفا بتصفية المجردات و تزكية الماديات ليندرج فى سلك (قدافلح من زكاها)و يبعد عن زمرة (وقدخاب من دساها) يكون الشخص فى أول أمره بمنزلة المريض و رزايله بمنزلة المرض و التصفية و التزكية بمنزلة التداوى و يتألم به فمنهم من هوقوى لا يتحرك و لايصيح و منهم من هو ضعيف يتحرك و يصيح و يعذره الناس و لا يلومونه و يعذره

الشرع مع تحركه فی الصلاة و خروج اصوات منه بلا اختيـار كـذلک المجذوب السالک مریض حقيقة فان كلف الضعيف منهم بعدم التحرک و عدم حصول الصوت منهم فهو بمنزلة تكليف المريض بذلک مع انـه غير مقدور له فهو مكلف بالتزكية و التصفية و ان لم يقدر و تحـرک و صاح لكن حسب دستور الشرع.

والشرع علم و عمل و إخلاص و العلم اما تعقلى أو تخيلى او حسى و ضروری ،مثلا علمک بمناسک الحج قبـل ان تحـج تعقلـى و حين الحج حسى و بعده تخيلى*

والعمل اما تكلفى او غير تكلفى و الثانی اما غيـر هـاجس فـی القلب اصلا عدمه اوهاجس مثلا فعل الصلاة لمن لـم يعتـدها تكلفـی و لمن اعتادها غيرتكلفى فاما ان يبلغ حدا لايهجـس فـی خـاطره تركهـا اصلا اولا* والاخلاص ان لا یرید فی علمه و عمله غير وجه الله و لـه مراتب كثيرة فحقيقة الشريعة المطهرة عالم واسع أحاط بعالم الامكـان و جميع دوائر عالم الامر بحيث لو صعد شخص کسیدنا محمـد (صـلى الله عليه وسلم) الى ما لا يتناهى من دوائر عالم الأمـر فهـو سـائر فـی حقيقة الشريعة غير خارج عنها لكنها من حيث علم الشخص بها تعقليا

وعمله فيها تكلفيا تسمى فى عرف العامة شريعة و من حيث جهاده مع نفسه فيها ليصير علمه بها ضروريا وحسيا و عمله فيها غيـر تكلفـى و ليتحصل له مراتب الاخلاص تـدريجا تـسمى طريقـة و إذا صـارالعلم ضروريا و العمل غير تكلفي و حـصل الإخـلاص فيهـا تـسمى حقيقـة، فالثلاثة متحدة ذاتا وانما تختلف باختلاف علم و عمل السالكين ،و من ثم لما سئل سيدنا الشاه نقشبند (قدس الله سره وانزل علينا مـن بركاتـه) عن الغرض من الطريق اجاب بأن الغرض منه حصول كمـال الإخـلاص وصيرورة العلم النظرى والكسبى ضرورياوشهوديا والعمل التكلفى غير تكلفي و معلوم أن النفس والشياطين يجاهدون حق المجاهدة مع الروح و قوايه فى ان لا يتصفى الشخص ولايتزكى بل ليكـون مـن الخـائبين الخاسرين كما أخبر الله عن الشياطين فـى مواضـع كثيـرة مـن القـرآن العظيم فيدسسون عليه كمال التدسـيس و لايكفـى للنـاقص أن يـوازن أعماله مع ظاهر الكتاب و السنة لانهم كثيرا يرونه الحق باطلا والباطل حقا فيضل و يضل و من ثمّ كان (صـلى الله عليـه وسـلم) يرسـل مـع وجود القرآن والاحاديث الجامعة لجميع معـالم الـدين و معارفـه لمـن أتقنها حق الاتقان ظهرا و بطنا مبلغين و مرشـدين و لـم يقنـع بمجـرد

القرآن و السنة وكذا الخلفاء الراشدون و سائر الأصحاب (على كل منهم السلام) و هكذا الأئمة و الأمراء الى زماننا هذا فيجب على الشخص ما لم يبلغ غاية مراتب الولاية الكبرى أن يشافه مرشدا ماهرا باهرا حيا فى جميع أحواله لا لأن المرشد يحركه فى المراتب و يوجد له المراسم والأوصاف الحسنة فإن هذا خاص بالله تعالى بل ليهديه الى المضار و المنافع ليجتنب الأولى و يكتسب الثانية و ليرشده الى ما يميز به الصحيح عن الفاسد إذ لو جرت عادة الله بأن يهدى الناس بلا وسيلة لكفى ذاته تعالى بلا حاجة الناس الى إرسال رسول أو إنزال كتب ولو كفى وسيلة و إن كان ميتا لكفى سيدنا محمد (صلى الله عليه و سلم) ولم يحتج أحد الى مرشد فانه أشرف الأرواح و أشدهم قوة وأصفاهم* و ما ذكرنا حكمة التوسل بالمرشد؛ نظير ذلك أن كتب جميع العلوم المدونة مصنفة باللغة العربية و من علم العربية يفهم معناها حسب قواعد اللغة العربية فمن هذه الحيثية لا يحتاج الى معلم يعلمه تلك الكتب لكن لألفاظ الكتب حقائق و دقائق و قواعد مبينة فى كتاب آخر أو فى علم آخر و رموز لايطلع عليها الا صدور العلماء الراسخين فان أحاط المطالع بجميع ذلك لم يحتج الى معلم أصلا و

ان لم يحط بها إحتاج الى معلم و هكذا جميع مسالک الشرع الشريف مدونة لكن لها حقائق و رموز لا يعلمها الاّ الراسخون فى العلم كما هو معلوم من أحوال الناس فان آية واحدة لها معان ربما يطلع بعض الناس على بعض منها و بعض آخر على بعض آخر منها فيتلاحق أفكار الجميع ثم يظهر حقيقة الآية و لا يقدركل أحد على دفع تدسيسات النفس و تسويلات الشياطين فيحتاج الناقص الى مرشد صفى زكى عالم بالمسالک و المهالک و مشارب السالكين * مثلا مشرب بعض السالكين يناسب كثرة الصلاة و بعضهم كثرة الصيام و بعضهم كثرة التفكر و كل من الثلاث ممدوح فى الشرع و مبين فيه و مأموربه فلولا مرشد يهديه الى ما ينفعه لدسس عليه النفس و زينت له ما يضره حتى يدخله في ورطة رياء او عجب او كبر او غيرهما من الرزائل كما أن ذلک مجرب فيمن لا مرشدله ظاهرا فليس المرشد شريكا لله تعالى بل مثله مثل المدرس فى الهداية و الارشاد فان كان التوسل بالمدرس غيرشرک فهو ايضا غير شرک و ان كان هذا شركا فليكن ذلک ايضا شركا *

إن قيل عهد محمد فى عصره(صلى‌الله‌عليه‌وسلم) و فى عصور الخلفاء الراشدين والاصحاب (على كل منهم السلام) و التابعين و غيرهم الى زماننا هذا التوسل بالمعلم من غير نكير فصار إجماعا سكوتيا بل قوليا و فعليا بخلاف حضور درس المرشد و التوسل به؟

قلنا: ان المسألة المجمع عليها قد يكون العلم بها واجبا على جميع الناس كوجوب الصلاة وحل البيع فتكون ضرورية او مشهورة عند الكل فيطلع عليها و على انعقاد الاجماع عليها كل مكلف و قد يختص بعلمها بعض الناس كوجوب السدس لبنت الابن مع بنت الصلب فان علم ذلک كفائى على بعض الناس و حضور حلقة درس المدرس من قبيل الاول اذ بعدم علم ظواهر الشرع يحصل الكفر او الابتداع او الفسق و من ثم اطلع على اجماع صحته جميع الناس و التشبث بالمرشد من قبيل الثانى اذ هو واجب كفائى سبب لكمال (١) الشخص لايتعلق بجهله تكفير و لا ابتداع و لافسق،فهو ايضا مجمع عليه من عصرالصحابة(عليهم السلام) الى عصرنا هذا و مما قرره

---

(١) وانه تعلق بانكاره ابتداع بل ربمايجره الى الكفر.

النبى(صلى الله عليه وسلم) و يدل عليه آيات و أحاديث و لكن لعدم عموم التكليف به لم يشتهر اشتهار الاول و خص بعمله بعض الناس على ان الاصل فى كل شيء الجواز والصحة مالم يدل عليه دليل قطعى ببطلانه، ولعل من ينكر التشبث بالمرشد يظن ان المريد يحسب ان مرشده مؤثر و شريک لله تعالى ، و قد علمت ان حقيقة الارشاد هداية كهداية المدرس،و من ثم تشبث بالمرشد آلاف ألوف من العلماء الراسخين مثل الأئمة الاربعة (على كل منهم السلام) و أصحابهم و سائر العلماء الفضلاء الصالحين الى زماننا هذا و سلموا أنفسهم لمرشديهم كالميت بين يدى الغاسل و كفى بذلک دليلا لأنهم ان لم يذوقوا فى ذلک حقيقة و لم يتبين لهم صحته لرجعوا عن ذلک و بينوه للناس، و منكر ذلک لم يذق هذا و من القواعد المسلمة المجمع عليها ان من حفظ حجة على من لم يحفظ و المثبت مقدم على النافى و ما يذكره المنكر من الشبهات مدفوع بحمله على من يظن تأثير غيرالله فى الوجود ❋

ثم الطريقة اما جذبة و تصفية و اما سلوک و تزكية و على الاول الطريقة العلية الصديقية النقشبندية المجددية فان المريد اذا سلم

نفسه لله تحت تربية مرشدكامل ماهر بـاهر فبمجـرد التـسليم يـدفع الله إسارة مجرداته لمادياته و يجذبها دفعة الى عالم الامر مع بقاء علاقتها بالماديات فيصفيها شيئا فشيئا الى تمام دائرة الولاية الـصغرى فيحـصل لهم تصفية قبل تزكية ومن ثم لايسلك سالكو هذه الطريقة فى إبتـداء الأمر العبادات الظاهرة كثيرا الاّ الواجبات والـسنن المؤكـدة و يـأمرهم المرشد بالتفكر فى المجـردات واذا وفـق الله الـشخص لبلـوغ الولايـة الكبرى والعليا يشرع فى طريـق التزكيـة بـان يزكـى الـنفس أولا ثـم النارثم الهواءثم الماءثم التراب و تزكية التراب انمـا يحـصل لمـن بلـغ آخر نقاط الولاية و ذلك نادر جدا فيحصل تزكية بعد تـصفية وتـصفية كاملة بعد التزكية و على الثانى الطريقة العلوية الجيلانية العليـة (قدس الله أسرارالكل) فانهم يشرعون فى تزكية النفس واللطيفة القالبيـة أولا، و من ثم يصدر عنهم عبادات ظاهرة قوية شـديدة كالأربعينيـات وكثـرة الصيام الى غير ذلك، اذا علمت ذلك فنقول إن المجـذوب و الـسالك مريض حقيقة يداويه الله تعالى بالتصفية و التزكية و لا قـدرة لـه علـى دفع الألم و لا على دفع الحركات و الاصوات الا الأقويـاء مـنهم فـان قدر على الدفع او تصنّع فى ذلك رياء فـصلاته باطلـة بالحركـات و

ظهور الصوت منه* و ان كان محقا صادقا فى الجذبة و لم يقدرعلى الدفع فصلاته صحيحة و مثاب عليها ضعف ثواب غير السالک لا قياسا على المريض بل هو أعلى المرضى و غير مكلف لان مرض الرزائل أشد وأخبث من الامراض البدنية و من ثم أوجب الشرع تداوى الرزائل بالتزكية و التصفية و لم يوجب تداوى المرض البدنى فان كلفنا المجذوب ان لا يسلک الطريق او ان لا يصلى فهو تكليف بما أوجب الله خلافه و ان كلفناه بان لا يتحرک و لا يصيح فهو تكليف بالمحال كتكليف المترشح المرتعش بعدم الارتعاش و ان قلنا إنه كاذب يقدرعلى الدفع فهذا سوء ظن بمسلم صالح فالمجذوب ان كان صادقا فى الجذبة غير قادر على الدفع فلا يخف لومة لائم و يجب على المنصف ان لايلومه و صلاته صحيحة،و ان كان كاذبا أو قادرا على الدفع فليخف الله و يترک جذبته ،نعم يجب عليه ان ينسلخ عن شغله قبل إقامة الصلاة و أن يستمد من الله بوسيلة المرشد ان يثبته فى الصلاة فان جرب ان ذلک نافع له فليعده فى كل صلاة و الا فلا يجب عليه الاعادة*

و من تمسک بمرشد کامل باهر ماهر فلا یجوز له الانتقال الی آخر و لو علم أن المنتقل الیه أفضل من مرشده الاول الا ان أمره مرشده بطیب نفسه بالانتقال کما وقع ذلک کثیرا من المتقدمین *

و أمّا بعد وفاة المرشد فان أراد مجرد حفظ الایمان و حشره فی زمرة أتباع الصالحین و دفع البلایا ظاهرة و حصول الآمال الدنیویة فیکفیه روحانیة مرشده الاول فی ذلک فلاینتقل. و ان أراد الترقی فی مقامات الطریق فان کان ذابصیرة کاملة و إطمئنان قلب و نفس بأن بلغ مرتبة الولایة الکبری فکذلک یکفیه روحانیة مرشده و یحرم علیه الانتقال والاّ فیجب علیه الانتقال لیخرج عن ورطة تدسیسات النفس وتسویلات الشیاطین ویسلک مسالک الطریق بسلامة فمن أطلق حرمة الانتقال فکلامه محمول علی احدی الفرقتین الاولیین و من أطلق الجواز بل الوجوب أراد بالنسبة الی الفرقة الثالثة و قد تواتر إنتقال کثیر من الأولیاء العظام من مرشد میّت الی مرشد حی منهم سیدنا خواجه بهاءالدین شاه نقشبند (قدس‌الله سره العزیز) فانه أخذ فی صباه البیعة من سیدنا خواجه باباالسماسی(قدس‌الله سره) ثم بعد فوته و ان کان یستمد فی الحقیقة من روحانیة سیدنا خواجه عبدالخالق

الغجدوانى(قدس سره) لكن تشبث ظاهرا بسيدنا خواجه السيد الأمير كلال (قدس سره)ليبين له لفظا المسالک و المهالک و منهم سيدنا الامام الربانى(قدس الله سره) فانه أخذ البيعة من والده الماجد(قدس سره) فى الطرائق الوجودية والقادرية والچشتية وبلغ الكمال فيها حتى أجازه والده بالارشاد فى الطرائق الثلاثه و أقامه مقامه ثم بعد وفاة والده لما طالع كتب السادة النقشبندية (قدس الله أسرارهم) إشتاق الى دخول طريقتهم و لم يقنع بولايته و كمال علمه و انتقل الى سيدنا خواجه محمد باقى بالله (قدس سره) و أخذ البيعة منه وأتم تلک الطريقة على يده فى شهرين وأيام كما هو مذكور فى كثير من مكتوباته، و منهم سيدنا خواجه أبوسعيد (قدس الله سره) فانه أخذ القادرية والچشتية من المرشدين وأجازوه بالارشاد فيها وصار وليا باهرا ثم انتقل الى سيدنا الشاه عبدالله الدهلى (قدس سره) فأخذ منه بيعة الطريقة العلية النقشبندية فجعله نائبا منابه قائما مقامه حتى ان حفيده سيدنا محمد مظهر المهاجر المجددى (قدس الله سره) بعد ان حكى هذه الحكاية قال ان الشاه جعل سيدنا مولانا الخالد (قدس سره) تحت تربيته وقد فصل انتقال الشاه نقشبند والامام الربانى وجده الشاه أبى سعيد فى كتابه المناقب

الأحمدية. ومنهم سيدنا مولانا الخالد ذوالجناحين (قدس سره) فانــه كـان في إبتداءأمره على الطريقة القادريــة حتــى تـصفت مجرداتـه وتزكـت مادياته ثم انتقل الى سيدنا الشاه عبدالله (قدس سره) فـصار وليـا مـاهرا باهرا في الطريقة العلية النقشبندية في مدة قريبة من تسعة أشهر،ومنهم سيدنا الشيخ عثمان سراج الدين الطويلي (قدس سره)فانه كان قادريا فـي أول أمره حتى أمرته روحانية سيدنا عبدالقادر الجيلانـي (قـدس الله سـره) بالانتقال الى سيدنا مولانا الخالد (قدس سره) وأمثال هذه الحكايات كثيرة مشحونة بها كتب سير الاولياء(عليهم السلام) فلـولا جـواز الانتقـال بـل وجوبه لدفع التدسيسات و سهولة السير لم يرتكبوه ثم ان مشاربهم(١) (عليهم السلام) في إرشاد النـاس متفاوتـة، فمـنهم مـن يجعـل ملكـة الرابطة سارية في ماديات و مجردات المريد فينعكس الرابطة بـالانوار والتجليات أولا وينعكس المريد باظلال ذلك ففي الحقيقة السالك هو الرابطة و الشخص في ظلها ولا يكون الحاصـل ملكـا ثابتـا للمريـد و

---

(١)(بيان لسر ان اتباع بعض الاولياء تكثر منهم الجذبة و يعسر عليهم الانتقال بخـلاف اتباع ولي اخر)

يزول عنه الحاصل بأدنى كدورة من مرشده و بُعده عنه ولكن يترقى بحسب الظاهر سريعا فتقل الجذبة من هذا المرشد و يندر انتقال أتباعهم بعد موتهم و على هذا كان ساداتنا الشيخ عمر الضّياءالدين و الشيخ على الحسام الدين و الشيخ شمس الدين البرهانى (قدس الله أسرارهم) و هذا أصلى من حيث سرعة الترقى الظاهرى (لكنه من حيث إمكان زوال الحاصل نقص لكن المرشد يراعى فى ذلك شيوع طريقته ليكون أكثر ثوابا عندالله و منهم من يجعل رابطته ناظرة لاعمال المريد هادية له فالسالك فى الحقيقة هو المريد ويكون الحاصل و لو أقل قليل مملوكا له يتعسر زواله فيكون المريد سالكا فى الحقيقة يكثر منه الجذبة ولعدم سراية الرابطة فيه يسهل عليه الانتقال الى مرشدآخر بعد وفاة مرشده و على هذا كان سيدنا الشيخ محمد علاءالدين (قدس الله سره) و أظن أن سيدنا و مرشدنا الشاه محمد عثمان سراج الدين الثانى (أرواحنا فداه) على هذا المشرب وهذا أولى من وجهين كون الحاصل مملوكا للمريد عسير الزوال و سهولة الانتقال و أصعب من وجه آخر هو عدم حصول الترقى الظاهرى الا بعد الكمال* ومنهم من يراعى الطريق الاول فى بعض المريدين والثانى فى بعض آخر و على هذا كان

سيدنا الشيخ نجم الدين (قدس سره) فنوصى ان لا ينكر أحد من أتباع ولى أحوال أتباع ولى آخر لأن الطرق الموصلة الى الله بعدد أنفاس الخلائق ولكل وجهة هو موليها هذا ما أردنا جمعه بحوله تعالى و قوته و انما أطنبنا ذلک ليعلم كل أحد حقيقة الأمر و الله أعلم بالحال و صلى الله على سيدنا محمد و جميع إخوانه من النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين و الآل و الأصحاب و الاولياء و العلماء و أمته أجمعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. الفقير الى الله محمد باقر (أعلى الله مقامه)

وقدتمت كتابتها ولله الحمد نسخا عن رسالةالمؤلف (رحمه الله) التى هى بخطه وذلک فى أوائل شوال ١٤٠٥ هجرية(على صاحبها آلاف ألف صلاة وسلام وتحية) بمنزل مولانا ومرشدنا حضرة الشيخ محمد عثمان سراج الدين (قدس سره وأدام نعمة بقائه)فى مدينة بغداد (حرسه الله) موافق حزيران ١٩٨٥ ميلادية وكتبها حسين عسيران ٠